مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الحادي والأربعون
شوال ١٤٣٧هـ

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research

www.imamu.edu.sa
e-mail: journal@imamu.edu.sa

نَظَرَاتٌ في نَشأَةِ النَّحْوِ العَرَبِيّ
للمُسْتشرق الألمانيّ فولفديتريش فيشر

حَرَّرَه وعلَّقَ عليه وقدَّم له
د. يُوسُف عَبدُالله الجَوَارِنَة
جامعَة طيْبَة بالمدينَة المنوَّرَة

نَظَرَاتٌ في نَشْأَةِ النَّحْوِ العَرَبِيّ
للمُسْتشرق الألمَانيّ فولفديتريش فيشر

حَرَّرَه وعَلَّقَ عليه وقدَّم له
د. يُوسُف عَبدُالله الجَوَارِنَة
جامعَة طيْبَة بالمدينَة المنوَّرَة

ملخص البحث:

يَهْدف هذا البحث إلى نشر مقالة المستشرق الألماني فولفديتريش فيشر: "نظرات في نشأة النحو العربيّ"، وذلك لأهمّيتها في سياق تأثّر العربيّة بغيرها من اللغات الأخرى، كاليونانيّة على وجه الخصوص، والسّريانيّة، وغيرهما. ولعلّ وقوف فيشر على كتاب "مفاتيح العلوم" لأبي عبدالله الخوارزمي المتوفّى سنة (٣٨٧) للهجرة، يشكل إضافة بحثيّة في ذات السّياق؛ ذلك أنّ فيشر عدَّ الخليل بن أحمد نهاية مرحلة التأثر، وجعل سيبويهِ بدايةَ مرحلة عربيّة خالصة نقيّة من كلّ شائبة تأثّر.

توطئة:

يبدو أنَّ بُعد الاستشراق الألماني عن أنْ يكون أداةً استعماريَّةً ذات أبعادٍ سياسيّة وتبشيريّة، جعله يتّصف بروح علميّة شبهِ خالصة أو غير مَشُوبة، فضلاً عن عُمقه وشُموليَّته، وكلّها صفات[1] جعلت منه استشراقًا متعدّد الجوانب، في اللغة والآداب، والدّين، والتاريخ، والفنون، والجغرافيَّة، وغيرها.

وهذه السّمة للاستشراق الألماني يمكن أنْ تكون صحيحةً على إطلاقها، لو لم تكن ثَمَّة أسباب حالت دون أن يكون كغيره من أنواع الاستشراق أداةً بيد الدَّولة، فقد أكّد الدكتور رضوان السيّد خدمة المستشرقين الألمان للدّولة الألمانيّة وسياساتها الخارجيّة، وأرجع ضعفهم في ذلك إلى جملة أسباب منها[2]: تأخُّر قيام الوحدة الألمانية حتَّى عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٧٠م، وهزيمة ألمانيّة في الحربين العالميتين، وصعود نجم النازيَّة ذات النَّظرة الدونيَّة للشُّعوب الشرقيَّة ولغاتها السَّامية في ألمانيّة، وما نتج عنه من إهمال الاستشراق والمستشرقين، ذلك أنَّ النازية أعطت الأولوية لسياسة التوسع في أوروبَّة، والمستشرقون لا شأن لهم بذلك – كلّ ذلك جعل الاستشراق الألماني يعود إلى أحْضان الأكاديميَّة التقليديَّة العريقة للجامعات والمعاهد الألمانيَّة، وإلاَّ فهو والاستشراق الإنجليزي والفرنسي وغيرهما، قد خرجوا من عباءة واحدة.

ومع أنَّ حركة الاستشراق في ألمانية تأخَّرت عن نظائرها في أوروبّة، إلاّ أنَّ المستشرقين الألمان، منذ يوحنّا يعقوب رايسكه (Reiske) (ت ١١٨٧هـ/ ١٧٧٤م)، مؤسس الدّراسات العربيّة في ألمانيّة، أواخر القرن الثامن عشر الميلادي– كان لهم نشاط ملحوظ في جمع المخطوطات العربيّة ونشرها وفهرستها، حتّى "إنَّ مجموع ما

---

(١) انظر: المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، صلاح الدين المنجد، ص٧–٨، و"مدارس الاستشراق: المدرسة الألمانية"، أنور زناتي، الشبكة العالميّة.

(٢) انظر: الاستشراق الألماني: النشوء والتأثير والمصائر، رضوان السيّد، ص٣١ وما بعدها.

نشره الألمان وحدهم يفوق ما نشره المستشرقون الفرنسيون والإنجليز معًا"، على حد تعبير الدكتور صلاح الدّين المنجد[1].

وكان لفعلهم هذا أثر كبير في تنشيط الحركة العلميَّة في الشَّرق، والنهوض بالموروث الحضاري للأمَّة الإسلاميَّة، وإخراجه إلى حيّز الوجود والنّور، اعتقادًا منهم أنَّ هذا الموروث يُسهم بشكل كبير في إثارة الوعي وإنارته في أوروبَّة كلّها، وهي تتّجه نحو غدٍ تشرق فيه الحضارة فيها من جديد، قال إدوارد سعيد (ت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) في هذا السّياق: "وكانت ثمار بحوث الاستشراق الألمانيَّة، تتمثّل في إحكام تقنيات البحث العلمي وتطويرها، وتطبيقها على النصوص والأساطير والأفكار واللغات، التي جمعها رجال من الإمبرطوريّتين البريطانيّة والفرنسيّة– دون مبالغة– من الشرق"[2].

وكان المستشرق الألماني فولفديتريش فيشر (Wolfdietric Fischer) (ت ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م) على وعي تام بهذه المسألة الخاصَّة بالاستشراق الألماني، وبُعده عن النَّزعة الاستعماريَّة، وقلّة رحلات المستشرقين الألمان إلى الشَّرق، إذْ قال: "كان لها أثر إيجابيّ في الاستشراق الألماني، الذي لم ينغمس في المصالح السياسيَّة، فحافظ على أكبر قَدْر من الموضوعيَّة العلميَّة"[3].

وإنَّ إجابته هذه فيها شيء من الدقَّة والتّحرّي؛ إذْ إنَّ الاستشراق له غيرُ وجهٍ من وجوه السّيطرة[4]، فإنْ كان الاستشراق الألماني أقلَّها من الوجه الاستعماري لجملة الأسباب التي أسلفتها، فإنّه يشترك مع غيره في السَّيطرة الفكريَّة، وهذا أكّده إدوارد سعيد في معلمته الشَّهيرة "الاستشراق"، إذْ قال: "أمَّا الصّفة التي يشترك فيها

(١) انظر: المستشرقون الألمان له، ص٨.

(٢) الاستشراق: المفاهيم الغربيَّة للشّرق، إدوارد سعيد، ص٦٨.

(٣) أبحاث عربيَّة في الكتاب التكريمي للمستشرق فيشر، "مقابلة الأيوبي مع فيشر"، إعداد وإصدار هاشم الأيوبي، ص٣٦٩.

(٤) انظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (ضميمة كتاب المتنبّي)، محمود محمد شاكر، ص٤٨ وما بعدها.

الاستشراق الألماني مع الاستشراق الأنجلو فرنسي، ومن بعده الاستشراق الأمريكي، فهي تَمتُّعه بضربٍ من السّلطة الفكريَّة على الشَّرق داخل الثّقافة الغربيَّة"[1]، ورأيُه هذا ينسجم مع تعريفه للاستشراق، فكأنّه خرج من عباءته، إذْ جعله "أسلوبًا غربيًّا للهيمنة على الشَّرق، وإعادةِ بنائه، والتّسلّطِ عليه"[2].

فولفديتريش فيشر:

وُلد فولفديتريش فيشر بمدينة نورمبرج في بافاريا بألمانيا الاتحاديَّة سنة ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م[3]– ويُعدُّ واحدًا من أكثر المستشرقين اهتمامًا باللغة العربيَّة، رغبَ فيها، وغدت جزءًا من شخصيَّته العلميَّة، بل وعلامةً دالَّة من علامات تميّزه وإبداعه، فهو منذ نُعومة أظفاره –إذْ لم يتجاوز الخامسة عشرة– أخذ يتعلَّم العربيَّة على نفسه من غير معلّم[4]، حتّى إذا ما تخرَّج في الثانويَّة العامَّة سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م، التحق بجامعة إرلانجن يَدْرس فيها فقه اللّغات السّاميّة والدّراسات الإسلاميّة[5].

وكان دافع اهتمام فيشر باللّغة العربيَّة بوجه خاص، واللّغات السّاميَّة بوجه عام، هو ما قدَّمته الكتابة العربيَّة للفكر الإنسانيّ من فضاءات معرفيَّة وفكريَّة، واختراعُ الكتابة في نظره إنجازٌ إنسانيّ عظيم[6]، بل إنَّه ينظر إلى العربيَّة على أنَّها من أهم اللغات العالميَّة في العصر الحديث، وذلك "لجذورها الضّاربة في القِدَم، وتاريخها الحافل

---

(١) الاستشراق، إدوارد سعيد، ص٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص٤٥–٤٦.

(٣) انظر: أبحاث عربيَّة، "مقابلة أحمد علبي مع فيشر"، ص٣٧٨، ودراسات في العربيَّة، مجموعة من المستشرقين المعاصرين، حرَّره فولفديتريش فيشر، ترجمه سعيد بحيري، ص٣٥٩.

(٤) انظر: أبحاث عربيَّة، "مقابلة الأيوبي مع فيشر"، ص٣٦٧.

(٥) انظر: دراسات في العربيَّة، ص٣٥٩.

(٦) انظر: أبحاث عربيَّة، "مقابلة الأيوبي مع فيشر"، ص٣٦٨.

الطَّويل"[1]، ولذلك اتّسعت آفاقه المعرفيَّة، وتعدَّدت اهتماماته في سياق اللّغة العربيَّة والحضارة الإسلاميَّة، مَكَّنته أنْ يكون باحثًا في الطَّليعة، يَدلّ على ذلك وَفرة أعماله العلميَّة وتَنوُّعها؛ في النّحو، والشّعر القديم، واللّغات السّاميّة.

ولعلَّ سعة اطّلاعه على العلوم الإنسانيَّة منذ وقت مبكّر، مَردُّه إلى أنَّ والده كان يعملُ قيّمًا في مكتبة علميّة، يديرها ويشرف عليها، وله اهتمام بالعربيّة وشغف بها منذ وقت طويل[2]، وذلك أثّر في شخصيّة فيشر وتكوينه الفكري، وجعله يرنو نحو العلم والمعرفة، ويقفُ على معالمَ خفيَّةٍ في العلوم، قد لا تتوافر لغيره من الطّلاب النّاهضين للقراءة والبحث.

تتلمذ فيشر على أستاذين كبيرين في الدّراسات اللغويَّة، أحدهما المستشرق هانز فير (Hans Wehr) (ت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م)[3]، صاحب القاموس الشَّهير "معجم اللغة العربيَّة المعاصرة"[4]، وهو الذي وَجَّه فيشر إلى الدّراسات اللغويَّة، وبخاصَّة اللّغة العربيَّة واللّغات السّاميَّة[5]، وأشرف عليه في كتابة أطروحته في الدكتوراه، المعنونةَ بـ "أسماء الإشارة في اللهجات العربيَّة المعاصرة" سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م في جامعة إرلانجن؛ ذلك أنَّ هانز فير كان مهتمًّا بدراسة اللهجات، ويشجّع على دراستها، وغدا فيها صاحبَ

---

(١) "رأي فيشر في تطور أساليب الكتابة العربيَّة"، حوار أجراه ظافر يوسف، مجلَّة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، مج٧٧، ج٣، ص٤٩٧.

(٢) انظر: أبحاث عربيَّة، "مقابلة علبي مع فيشر"، ص٣٧٨.

(٣) انظر ترجمته: المستشرقون، نجيب العقيقي، ٢/ ٨٠٦، وموسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، ص٤٣١-٤٣٢.

(٤) معجم عربي ألماني، ويرى فيشر في حديثه لتلميذه علبي، أنَّ هذا المعجم ما زال صالحًا بالنسبة إلى اللغة العربيَّة المعاصرة لا القديمة، ومادّتُه من الصّحافة والكتب العلميَّة والرّوايات. ويقول عنه بوبزين: "أصحُّ مرجعًا لا غنى عنه لدارس العربيَّة". انظر: أبحاث عربيَّة، ص٢٨، ٣٧٩. وهذا التقويم لا يعتدّ به لأنه من مستشرق، والحقُّ أنْ يُقوّمه عالم من علماء المعجميَّة العرب.

(٥) المرجع السابق، "مقابلة علبي مع فيشر"، ص٣٧٩.

مدرسةٍ على حدّ تعبير المستشرق هارتموت بوبزين (Hartmut Bobzin)[1]، وتلك طريقة في البحث عند غير مستشرق، كأنهّا غدت سمةً بارزة من سمات البحث الحديث في اللّغة العربيّة عندهم.

أمّا أستاذه الآخر المستشرق هلموت ريتّر (Hellmut Ritter) (ت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م)[2]، فقد عمل مساعدًا له في جامعة فرانكفورت من سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤ إلى سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م، وكان مشهورًا بتصحيح النّصوص التّراثيّة، وحقّق- كما يقول فيشر- كثيرًا من الكتب القديمة[3].

ثمّ عاد فيشر إلى أستاذه فير بعد أن ترك إرلانجن متوجّهًا شطر جامعة مونستر، وعمل فيها مساعدًا له من سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧ إلى سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م، وفي هذه الفترة، أي في سنة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م، حصل على الأستاذيّة عن بحثه المعنون: "أسماء الألوان في الشّعر العربيّ القديم"، وبعدها انتقل إلى جامعة إرلانجن، الجامعة التي تخرّج فيها، ليشغل هناك مديرًا لمعهد الدّراسات الشّرقيّة واللغات السّاميّة، واستمر فيه إلى أنْ أحيل على التقاعد في سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م[4].

وهنا، يعود فيشر- بعد أنْ حطَّ عصا التّرحال في العمل الرَّسمي- ليتفرَّغ لمشروعه الكبير الذي بدأ به سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، وهو "دراسة الظّواهر النّحويّة في اللغة العربيّة المعاصرة، ورصد الاستعمالات الجديدة فيها"[5].

إنَّ سبعين سنة[6] قضاها فيشر في رحاب العربيّة منذ بدأ يتعلَّمها على نفسه وهو ابن خَمْسَ عَشْرةَ سنة، جعلته يَتَماهى في حبّها كأنّها قطعةٌ من عقله، عشقها وتلوّن

(١) انظر: المرجع السابق، "الاستشراق في إرلانجن من البداية حتى فيشر"، ص٣٠.
(٢) انظر ترجمته: موسوعة المستشرقين، بدوي، ص٢٧٧- ٢٧٩.
(٣) انظر: أبحاث عربيَّة، "مقابلة علبي مع فيشر"، ص٣٨١.
(٤) انظر: المرجع السابق، "حوار هاشم الأيوبي"، ص٣٦٨، ودراسات في العربيّة، ص٣٥٩.
(٥) "رأي فيشر في تطور أساليب الكتابة العربيَّة"، ص٤٩٦.
(٦) توفي فولفديتريش فيشر سنة ١٤٣٥هـ / ٢٠١٣م. انظر: تقريرًا عن ندوة "العربيَّة في بلاد الألمان"، صحيفة "الإناء" اللبنانية اليوميّة، طرابلس، ع ٧١٨٤ / ٢٠ حزيران ٢٠١٤م.

فيها، وأحبّه الطلاّب العرب، وأضحى صديقًا حميمًا لهم، بل كانت أخلاقه ومعاملاته تذكّر بأخلاق المسلمين الأوائل ومعاملتهم، على حدّ تعبير تلميذه هاشم الأيّوبي[1]، وهو أوّل طالب عربيّ يحضّر للدكتوراه عنده.

وراح فيشر لتوطيد العلاقة العلميّة بين المعهد الذي يديره في إرلانجن- يقيمُ علاقات مع الجامعات العربيّة[2] كجامعتي عين شمس في مصر، والموصل في العراق. وكان الدكتور محمد عوني عبدالرؤوف عميد كليّة الألسن في جامعة عين شمس، عضوَ قناة مشتركة معه بجامعة إرلانجن في الفترة بين (١٤٠١هـ/ ١٩٨٠- ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، وقد أشرف بالاشتراك مع فيشر على مجموعة رسائل دكتوراه في كليّة الألسن، منها: بناء الجملة الخبرية في رسائل إخوان الصفا، أعدَّها الطالب سعيد حسن بحيري سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ومفهوم الإسناد وأركان الجملة في كتاب سيبويه، أعدّها الطالب محمد الدسوقي الزغبي سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، وكتاب المغازي للواقدي دراسة نحوية، أعدّها الطالب محمد رجب الوزير سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

وهنا تجدر الإشارة إلى ذينك الكتابين التكريميين اللذين نهض لهما ثلّة من تلامذة فيشر المخلصين في الوطن العربي، يكرّمون فيهما تلك الشّخصيّة الباذخة التي قامت للغة العربيّة على خير ما يقوم به الغُيُر من أبنائها، والكتابان هما:

الأول: فولفديترش فيشر: دراسات عربية وسامية مهداة من أصدقائه وتلاميذه بالجامعات المصرية, حرّره الدكتور محمود فهمي حجازي، مركز اللغة العربية, كلية الآداب- جامعة القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

والثاني: أبحاث عربيّة في الكتاب التكريمي للمستشرق فولفديتريش فيشر، أعدّه وأصدره الدكتور هاشم الأيوبي، ط١، دار جروس برس، طرابلس لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

---

(١) انظر: أبحاث عربيّة، "حوار هاشم الأيوبي"، ص٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، "حوار هاشم الأيوبي"، ص٣٧٢.

وإنَّ المتصفّح لهذين السِّفرينِ، يقرأ طائفة من تلاميذه الذين لَبَّوا نداء الوفاء، الوفاءِ لأستاذ كبير في العربيَّة، صَحبهم في بلاد الألمان، وحَنَا عليهم، وقدّم لهم كلَّ نصيحة يكونون بها علماءَ كبارًا في بلادهم، وأذكر من هؤلاء البررة مع حفظ ألقابهم: هاشم الأيوبي من لبنان، وإسماعيل عمايرة، وعبدالحميد الأقطش من الأردن، وسعيد البحيري، وعبد الفتاح البركاوي من مصر، وطارق الجنابي من العراق، وظافر يوسف، وفؤاد نعناع من سوريّة.

أعماله العلميَّة:

يشير الدكتور هاشم الأيوبي إلى أنّ السيّدة إريكا بار، رافقت فيشر طيلة عمله في قسم الدراسات الشرقيّة بجامعة إرلانجن، إذْ عملت أمينة السرّ الدائمة له، وصدر لها جزءان عن أعمال المستشرقين الألمان، يُعدّ مرجعًا مهمًّا لكلّ طالب في أقسام الاستشراق وعلوم الاستشراق[1].

وقد أحصت إريكا (١٣٠) مئة وثلاثين عملاً علميًّا للمستشرق فيشر، منها أكثر من (٤٠) أربعين كتاباً وبحثاً عن اللغة العربية وآدابها، وفي الإسلاميات، واللغات السامية[2]، أذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر، ما يأتي:

- الصّيغ الجديدة لأسماء الإشارة في اللهجات العربيَّة المعاصرة، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م. (أطروحة الدكتوراه).

---

(١) انظر: المرجع السابق، "أعمال فولفديتريش فيشر"، ص٣٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، "أعمال فولفديتريش فيشر"، ص٣٥– ٥٣، وتقريرًا عن ندوة "العربيَّة في بلاد الألمان".

- مواصفات الشّكل واللون في لغة الشّعر العربيّ القديم، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م. (بحث الأستاذيّة).
- قواعد العربيّة الكلاسيكيّة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ويَعدُّ الدكتور هاشم الأيوبي هذا الكتاب من أهم ما كتب في هذا الموضوع، وهو الكتابُ الأساس للتدريس[1].
- اللهجات العربيّة، بالاشتراك مع المستشرق الألماني أوتو جاسترو (Otto Jastrow)، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م.
- مبادئ فقه اللغة العربيّة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.
- شواهد مبكّرة للعربيّة الحديثة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.
- كُتيّب في ذكرى تكريم فريدريش روكرت (Frederich Rockert) (ت ١٢٨٨هـ / ١٨٦٦م)، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- أهميّة القصّة الشعبيّة في الأدب العربيّ (محاضرة في المغرب)، أبحاث عربيّة، ص٣٥٣– ٣٦٦.
- الكاف والشّين في اللغات الساميّة الجنوبيّة، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م.
- الجملُ المصدّرة بـ (أنْ) و(أنَّ)، ترجمه عن الألمانيَّة تلميذه الدكتور إسماعيل عمايرة، ونشره في مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ، ع٧، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- فصل القواعد في كتاب "مفتاح العلوم" (بالإنجليزيّة)، جمعيّة المستشرقين الألمان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- قواعد العربيّة من خلال النصوص (بالإنجليزيّة)، مجلة اللسان العربيّ، ع٢٣.
- اللغة العربيّة في إطار اللغات الساميّة (بالعربيّة)، حوليات الجامعة التونسيّة، ع٢٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، (ص٤٣– ٥٣).

---

(١) انظر: تقريرًا عن ندوة "العربيَّة في بلاد الألمان".

- المراحل الزَّمنيّة للغة العربيّة الفصحى، ترجمه عن الألمانيَّة الدكتور إسماعيل عمايرة، ونشره في المجلّة الثقافيّة، الجامعة الأردنيّة، العددان ١٢/ ١٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
- العربية في رواية إسلامية، ترجمه سعيد بحيري، ونشر في مجلة الألسن للترجمة، ع٤، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- العربية الحديثة ولهجاتها، ترجمه سعيد بحيري، ونشر في مجلة الألسن للترجمة، ع٧، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- نثر أبي مخنف وبداية النثر في الأدب العربي، تعريب محمد فؤاد نعناع، مجلة توباد السعودية، ع١٦، ربيع الأول ١٤١٥هـ، ص ٦٥ – ٦٩.

وممّا أصدره وحرّره وقدّم له:

- مقالات حول تاريخ العلوم العربيّة للمستشرق آيلهارد فيدمان (Eilhard Wiedemann) (ت ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م).
- فريدريش روكرت في مرآة معاصريه والمتأخرين عنه، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- فريدريش روكرت شاعرًا وعالمًا لغويًّا، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- الأساس في فقه اللغة العربيَّة، ترجمه سعيد بحيري، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. وكان المترجم عرض هذا الكتاب وحلله، ونشره في مجلة "فصول" سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- دراسات في العربيّة، ترجمة سعيد بحيري، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ولفيشر في هذا الكتاب ثلاث مقالات، هي:
- الأولى: الدور التاريخي للغة العربيّة (ص٩– ١٨)، وكان ترجمه سعيد بحيري من قبل، ونشره في مجلة الألسن للترجمة، ع٢، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- والثانية: العربيّة الكلاسيكيّة الفصحى (ص١٠٧– ١٣٣).
- والثالثة: شواهد مبكّرة للعربيّة الحديثة (ص٢١١– ٢٣٨).

مقالة فيشر وعملي فيها:

تعود صلتي بهذه المقالة للمستشرق فيشر إلى تلميذه الدكتور عبدالحميد الأقطش، إذْ كنّا ندرس على يديه سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م حلقة بحث في مرحلة الماجستير بجامعة اليرموك، وقال لي: هذه مقالة لأستاذي فيشر بخط يده، اقرأها. وقرأتها منذ ذلك الوقت، وألفيتها تتحدّث عن ظاهرة التأثير الأجنبيّ في العلوم اللغويّة العربيّة، ومنها النّحو العربيّ بشكل خاص.

ثم اطّلعت على كتاب للدكتور إسماعيل عمايرة، تحدّث فيه عن نشأة الدراسات اللغويّة عند المستشرقين، فوجدته يؤكّد ما قاله أستاذي الأقطش، فقال وهو يناقش أستاذه فيشر في مقالته التي بين يدينا: "أمّا فيشر، فنعرض رأيه على النّحو الآتي كما عرفناه منه مباشرة.... والنّصوص المقتبسة تعود إلى نسخة خطيّة بيده، مكتوبةٍ بالعربيّة"[1]، وهي هذه المقالة التي أرجو أنْ أوفَّق في نشرها.

أما تاريخ كتابة المقالة، فالذي يبدو لي أنّ فيشر كتبها سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، وذلك من خلال إشارات في المقالة نفسها تؤكّد هذا التاريخ وتقوّيه، منها:

أولاً: قوله: "لقد حاول العالم الألماني جوستاف يان (Gustav Jahn) (ت ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م) قبل تسعين عامًا، أنْ يَنقل كتاب سيبويه إلى اللغة الألمانيّة". ومعلوم أنّ (يان) نشر "الكتاب" في سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٤م، كما أثبته نجيب العقيقي في كتابه "المستشرقون"، ٢/ ٧٢٤. وهذه الإشارة وحدها كافية في إثبات أنّ تاريخ نسخ المقالة هو في سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

ثانيًا: قوله: "لقد عاد النّقاش في هذا الموضوع مِن جديدٍ مع بَحْثٍ مهمّ قام به العالم الهولندي كيس فيرستيغ (Kees Versteegh) قبل خمس سنين". والبحثُ المهم الذي يشير إليه، هو أطروحة فيرستيغ "عناصر يونانيّة في الفكر اللغوي العربي"، التي نال بها

(١) إسماعيل عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغويّة، ص٦٨.

درجة العالميّة (الدكتوراه) سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ولعلّ فيشر اطّلع على هذا الكتاب بعد هذا التاريخ بقليل.

ثالثًا: قوله: "على أنّه من الغريب في هذا الصّدد أنّ العلماء الباحثين في نشأة النّحو العربي، لم يَطّلعوا على نَصّ عربي يُحيطنا علمًا بتطوّر النّحو العربي في الفترة التي سبقت سيبويه، مع أنّ هذا النصّ سَهْلُ المنال منذ تسعين عامًا، وهو كتاب "مفاتيح العلوم" لأبي عبدالله محمّد بنِ أحمدَ الكاتبِ الخُوارزميّ (ت ٣٨٧هـ)، حيث نجد بابًا عن النّحو".

وقد نشر المستشرق الهولندي فان فلوتن (Van Vloten) المتوفّى سنة (١٣٢٢هـ / ١٩٠٣م) كتاب "مفاتيح العلوم" للخوارزمي في ليدن سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٥م، ونَصّ على ذلك العقيقي في كتابه "المستشرقون"، ٢/ ٦٦٣.

رابعًا: يشير كيس فيرستيغ إلى أنَّ المستشرق فولفديتريش فيشر صاغ سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م مقالةً حول مصطلحات الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)[1]، مستقاةً من فصل من كتاب "مفاتيح العلوم" للخوارزمي، ولعلّها السّنة التي كان معنيًّا فيها بكتابة مقالته التي بين أيدينا، وفيها اعتناء بكتاب الخوارزمي الذي أفرد فيه فصلاً عن الخليل بن أحمد الفراهيديّ.

أمَّا المقالة بخط فيشر، فقد جاءت في (٨) ثماني لوحات، وفي كلّ لوحة صفحتان، وفي كلّ صفحة (٢٢) اثنان وعشرون سطرًا، وفي كلّ سطر (١٠) عشر كلمات تقريبًا، وهي واضحة ومقروءة، وفيها بعض الألفاظ والتعابير لا ترقى إلى مستوى العربية

---

(١) انظر: كيس فرستيغ، الدراسات الغربية حول تاريخ النحو العربي (١٣٨٩– ١٤١٥هـ / ١٩٦٩–١٩٩٤م)، ترجمة بوشعيب برامو، موقع جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات (عتيدة)، استرجع بتاريخ ١/١٣/ ١٤٣٧هـ الموافق ١٠/٢٦/ ٢٠١٥م.

(http://www.atida.org/forums/showthread.php?t=١٩٣٨)

استرجع بتاريخ ١/١٣/ ١٤٣٧هـ الموافق ١٠/٢٦/ ٢٠١٥م.

الفصحى، أشرت إليها في هوامش المقالة، مع تصويب بعضها، والإشارة إلى الصواب في غيرها، من ذلك أنّه:

١. يَستْخدم الفعل (اعتبر) ومشتقّاته بمعنى الفعل (عَدّ) ومشتقّاته.

٢. يُعدّد المضافَ والمضافُ إليه واحد.

٣. يَكتب نهاية بعض الألفاظ بالألف ک (أنطاكيا)، و(العائشين) بالهمز على طريقة الإمام نافع.

٤. يُقدّم المؤكِّد على المؤكَّد.

٥. يُقحم الكاف في غير موضعها، كقوله: "وتدلُّ هذه الكلمة كمصطلح نحويّ على التغيير الشّكلي".

٦. يُعدّي الفعل (أكّد) بحرف الجر.

٧. يُعيد الجار مع المعطوف والمعطوف عليه اسم ظاهر.

٨. يَفتح همزة (إنّ) بعد الظّرفين (حيث) و(إذْ)، وغيرها.

ولم أعمد إلى ترجمة الأعلام الواردة في المقالة– عَرَبيّة أو عَجَميّة– لشهرتها، واعتمدت في قراءة المصطلحات اليونانيّة الواردة في المقالة على غير مصدر، منها: كتاب "أصول اللغة اليونانيّة للعهد الجديد"[١]، وكتاب "فن النحو بين السريانيّة واليونانيّة"[٢]، و"قاموس عربي يوناني"[٣]، وكتاب "قواعد اللغة اليونانيّة للعهد الجديد"[٤]، وتطبيقات (Google): الترجمة.

---

(١) لمؤلفه ستان سكرسلت.

(٢) ترجمه إلى العربيَّة ماجدة محمد أنور.

(٣) وضعه صموئيل كامل عبد السيّد.

(٤) أعدَّه رهبان دير القديس أنبا مقار.

ولست أعلم فيما اطّلعت عليه من مصادر ومراجع، أنَّ هذه المقالة نُشرت من قبل باللغة العربيَّة، والذي يظهر لي أنّ مقالة فيشر "فصل القواعد في كتاب "مفتاح العلوم""، المنشورة بالإنجليزيّة في جمعيّة المستشرقين الألمان، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، والتي أثبتُّها في ثَبَت أعماله من قبل، هي جزء من هذه المقالة التي بين أيدينا، إنْ لم تكن هي نفسها، وقد أشار إلى ذلك الدكتور إسماعيل عمايرة، وأثبت أصلها في اللغة الإنجليزيّة: (The Chapter on Grammar in the kitab Mafaatiih al- uluum)، وجاءت في تسع صفحات من (٩٤– ١٠٣) في مجلّة (ZAL).

لذلك، فإنَّ أهميّة نَشْر هذه المقالة باللغة العربيَّة تكمن في غير ميزة، ويمكنني أنْ ألخّص أهم الأفكار الواردة في مقالة فيشر في النقاط التّسع الآتية:

أولاً: يرى فيشر أن كتاب "الصّناعة النحويّة" لديونيسيوس ثراكس في الغرب، يماثل– من حيث الأهميّة– كتاب سيبويه في الشّرق.

ثانيًا: يرى أنّ بدايات النّحو العربيّ يحيط بها غموض شديد، ويؤكّدُ وجودَ فترة تاريخيّة غامضة تَطوّرَ فيها النحو العربيّ من البداية، وانتهت بظهور كتاب سيبويه.

ثالثًا: يرى أنّ نسبة تأسيس النّحو العربي لأبي الأسود الدؤلي، زعمٌ لا يَسْتند إلى أدلّة، وهو أقرب إلى الأساطير منه إلى الحقيقة.

رابعًا: يَعُدّ كتابَ سيبويه إنجازًا مدهشًا، ويُعْطي صورة متكاملة دقيقة لقواعد العربيّة، وصورةُ النّحو فيه تَرْتكز على نظريّة علميّة لغويّة، مستقلّةٍ عن النّحو اليونانيّ.

خامسًا: يؤكّد عدم وجود رسائل في اللغة والنّحو منقولةٍ إلى العربيّة عن اللغات الأخرى، كاليونانيّة، والسّريانيّة، والفارسيّة؛ لأنّ النّحو يرتبط بلغة واحدة معيّنة، فلا طائل من إقامة علمِ نحوٍ لِلُغةٍ جديدة، من خلال رسائلَ مترجمةٍ.

سادسًا: يؤكّد اتصال النّحاة العرب الأوائل مع اللغويين الإغريق والسّريان في أوائل نشأة النّحو العربيّ، وإجراءَهم حوارات معهم، ودليل فيشر على ذلك يتمثّل فيما يأتي:

١– مخالفتُه المستشرقَ فيرستيغ في أنَّ "القياس" أصلاً من أصول النّحو، لا يمكن ردُّه إلى الاتصالات المفترضة بين النّحاة العرب واليونان.

٢- ترجيحُه أن يكون الاسم من بين أقسام الكلام، واحدًا من المصطلحات الدّخيلة عن طريق هذا الاتصال والحوار.

٣- ما جاء في كتاب "مفاتيح العلوم" للخوارزمي، يؤكّد اتصال النّحو العربي أولَ نشأته بالفكر اليوناني، وتحت تأثيره عليه.

٤- وجود مذهب عند الخوارزمي يطلق عليه: "مذهب فلاسفة يونان".

٥- وجود مذهب نحويّ عربيّ تعلّق بالفلسفة اليونانيّة مباشرة.

٦- استخدام الخليل مصطلحات نحويّة تجمع بين شكل الكلمة ووظيفتها، وذلك من خصائص النّظام النّحوي اليوناني.

٧- اعتقاده أنّ الخليل بن أحمد يشكّل نهاية مرحلة التأثّر.

سابعًا: يُقلّل من أهميّة كتاب "تاريخ صناعة النّحو عند السّريان" للمستشرق الألماني ميركس، لضحالته وبُعده عن العمق، ويرى أنّ بحث "عناصر يونانيّة في الفكر اللغوي العربي" للمستشرق فيرستيغ، أدلّ وأعمق منه في إثبات تأثّر النّحو العربيّ بالنّحو اليونانيّ.

ثامنًا: يَستْغرب غياب كتاب الخوارزمي عن العلماء الباحثين في نشأة النّحو العربيّ.

تاسعًا: يعتقد أنّ الخليل بن أحمد يشكّل نهاية مرحلة التأثّر، ويمثّل سيبويه بداية مرحلة استقلّ فيها النّحو العربيّ عن كلّ مظاهر التأثر. وعليه، فإنّه يرى أنّ قول جيرار تروبو: "إنّ علم النّحو أعرب العلوم الإسلاميّة، وأبعدُها عن التأثير الأجنبي"، يَسْري على فترة سيبويه لا الفترة التي قبله.

هذه الأفكار المنثورة في ثنايا المقالة وغيرها، سوف أعود إليها في بحث آخر إنْ شاء الله، أقف فيه على مجملها، في قراءة تحليليّة كاشفة، تبيّن قيمة هذه المقالة في ميزان التأثير والتأثّر، وتكشف عن موقعها بين المقالات التي تناولت هذا الموضوع بالبحث والتّنقير.

نماذج من مقالة فيشر بخط يده

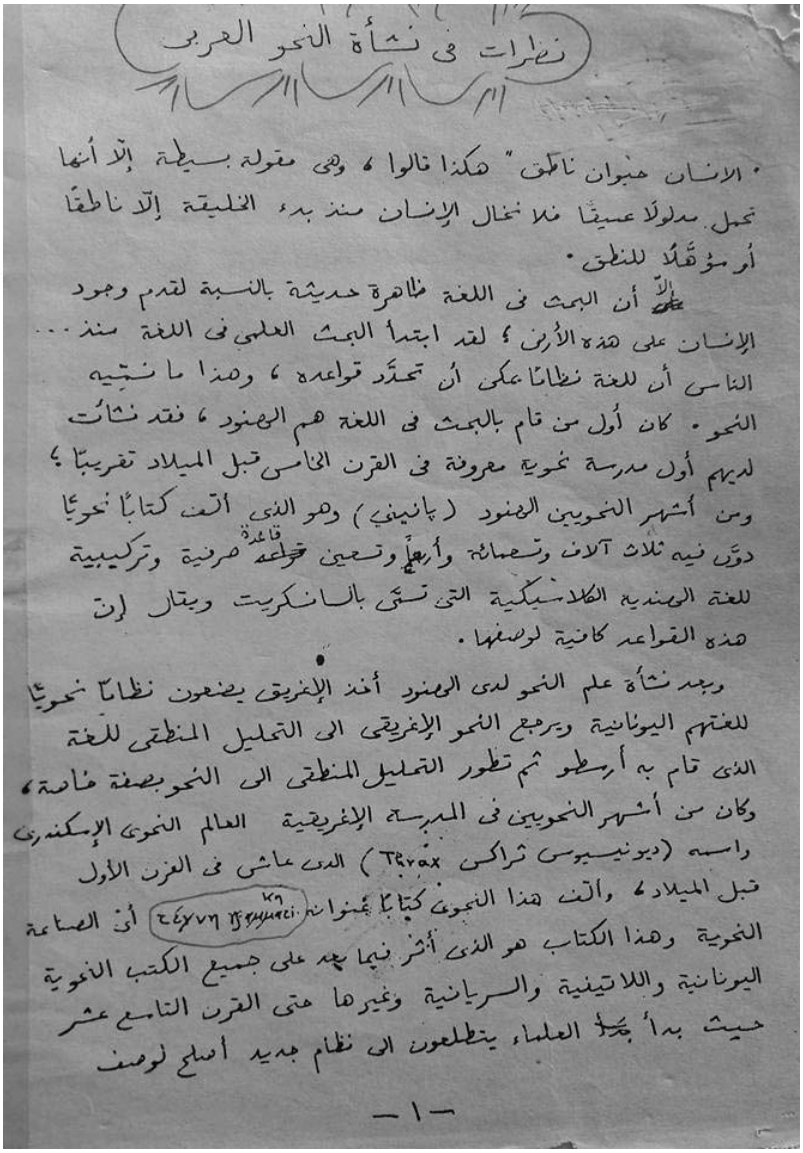

نظرات في نشأة النحو العربي

الإنسان حيوان ناطق" هكذا قالوا، وهي مقولة بسيطة إلا أنها تحمل مدلولا عميقا فما تخيل الإنسان منذ بدء الخليقة إلا ناطقا أو مؤهلا للنطق.

إلا أن البحث في اللغة ظاهرة حديثة بالنسبة لقدم وجود الإنسان على هذه الأرض؛ لقد ابتدأ البحث العلمي في اللغة منذ... الناس أن للغة نظاما يمكن أن تحدد قواعده، وهذا ما نسميه النحو. كان أول من قام بالبحث في اللغة هم الهنود، فقد نشأت لديهم أول مدرسة نحوية معروفة في القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا؛ ومن أشهر النحويين الهنود (پانيني) وهو الذي ألف كتابا نحويا دوّن فيه ثلاث آلاف وستمائة وأربعا وتسعين قاعدة صرفية وتركيبية للغة الهندية الكلاسيكية التي تسمى بالسانسكريت ويقال إن هذه القواعد كافية لوصفها.

وبعد نشأة علم النحو لدى الهنود أخذ الإغريق يضعون نظاما نحويا للغتهم اليونانية ويرجع النحو الإغريقي الى التحليل المنطقي للغة الذي قام به أرسطو ثم تطور التحليل المنطقي الى النحو بصفة خاصة، وكان من أشهر النحويين في المدرسة الإغريقية العالم النحوي الإسكندري واسمه (ديونيسيوس ثراكس Thrax) الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، وألف هذا النحوي كتابا بعنوان [illegible] أي الصناعة النحوية وهذا الكتاب هو الذي أثر فيما بعد على جميع الكتب النحوية اليونانية واللاتينية والسريانية وغيرها حتى القرن التاسع عشر حيث بدأ جهد العلماء يتطلعون الى نظام جديد أصلح لوصف

— ١ —

الصفحة الأولى

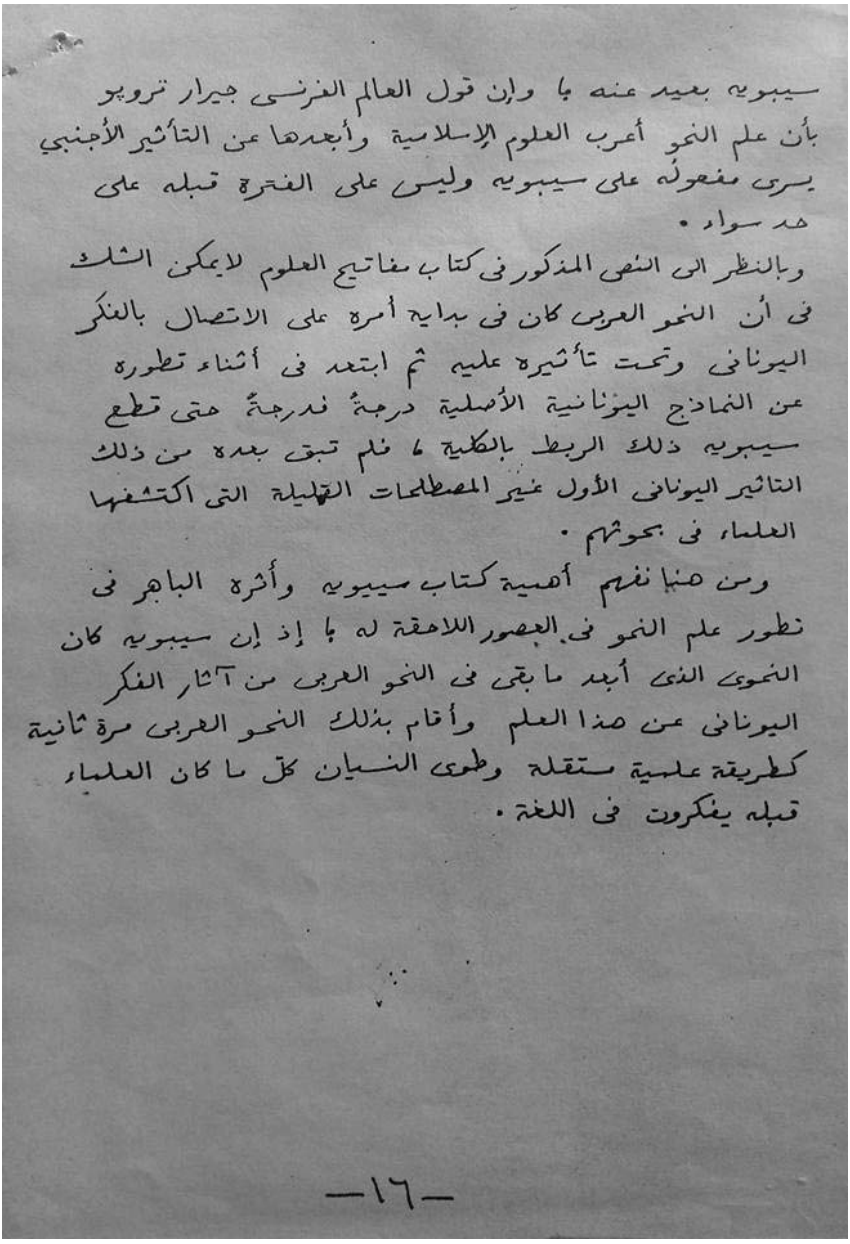

سيبويه بعيد عنه جـ وإن قول العالم الفرنسي جيرار تروبو
بأن علم النحو أعرب العلوم الإسلامية وأبعدها عن التأثير الأجنبي
يسري مفعوله على سيبويه وليس على الفترة قبله على
حد سواء .
وبالنظر الى النص المذكور في كتاب مفاتيح العلوم لايمكن الشك
في أن النحو العربي كان في بداية أمره على الاتصال بالفكر
اليوناني وتحت تأثيره عليه ثم ابتعد في أثناء تطوره
عن النماذج اليونانية الأصلية درجةً فدرجةً حتى قطع
سيبويه ذلك الربط بالكلية ، فلم تبق بعده من ذلك
التاثير اليوناني الأول غير المصطلحات القليلة التي اكتشفها
العلماء في بحوثهم .
ومن هنا نفهم أهمية كتاب سيبويه وأثره الباهر في
تطور علم النحو في العصور اللاحقة له جـ إذ إن سيبويه كان
النحوي الذي أبعد ما بقي في النحو العربي من آثار الفكر
اليوناني عن هذا العلم وأقام بذلك النحو العربي مرة ثانية
كطريقة علمية مستقلة وطوى النسيان كل ما كان العلماء
قبله يفكرون في اللغة .

—١٦—

الصفحة الأخيرة

[مقالة فيشر]

نَظَرَاتٌ في نَشْأَةِ النَّحْوِ العَرَبِي

"الإنسانُ حيوانٌ ناطق": هكذا قالوا، وهي مَقولةٌ بسيطة إلاّ أنّها تَحمل مَدلولاً عميقًا، فلا نَخال الإنسانَ –منذ بَدْء الخليقة– إلاّ ناطقًا، أو مؤهّلاً للنّطْق.

إلاّ أنّ البحث في اللغة ظاهرةٌ حديثةٌ بالنسبة لِقِدم وجود الإنسان على هذه الأرض؛ لقد ابتدأ البحث العلمي في اللغة منذ...[1] الناس أنّ للغة نظامًا يمكن أنْ تُحدَّد قواعدُه، وهذا ما نسمّيه النّحو.

كان أوّلَ مَن قام بالبحث في اللغة هم الهنودُ؛ فقد نشأت لديهم أوّلُ مدرسةٍ نحويّةٍ معروفةٍ في القرن الخامس قبل الميلاد تقريبًا، ومن أشهر النحويّين الهنود (بانيني)[2]، وهو الذي ألّفَ كتابًا نحويًا[3] دَوَّن فيه ثلاثَة[4] آلافٍ وتسعَمائةٍ وأربعًا وتسعين قاعدةً صرفيّةً وتركيبيّةً للّغة الهنديّة الكلاسيكيّة التي تُسمّى بـ (السانسكريت)[5]، ويُقال: إنّ هذه القواعدَ كافية لوضعها.

وبعد نشأة علم النّحو لدى الهنود، أخذ الإغريق يضعون نظامًا نحويًا للغتهم اليونانية، ويرجع النّحو الإغريقي إلى التّحليل المنطقي للّغة الذي قام به أرسطو، ثم تَطوّر

---

(١) كذا في الأصل، علامة حذف. ولعلّ المحذوف يقدّر بقولك: عَرَفَ، أو غيرها.

(٢) يرجَّح أنه كان موجودًا بين عامي ٧٠٠ و٦٠٠ قبل الميلاد. انظر في نَسَبه وتاريخه: البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، أحمد مختار عمر، ص٣٣ وما بعدها، والبحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضيّة التأثير والتأثر، أحمد مختار عمر، ص٥٩.

(٣) هو كتابه في النحو السنسكريتي المسمّى (Ashtadhyayi)، أي: الأقسام الثمانية. انظر: البحث اللغوي عند الهنود، ص٣٤، ٣٧، والبحث اللغوي عند العرب، ص٥٩، وموجز تاريخ علم اللغة في الغرب، روبرت روبنز، ترجمة أحمد عوض، ص٢٠٢.

(٤) في الأصل: ثلاث، وليس بصواب.

(٥) يطلق لفظ "السنسكريت" على اللغة القديمة للهندوس، التي كتب بها معظم تراثهم. انظر: البحث اللغوي عند الهنود، ص١٨، ٣٨، وموجز تاريخ علم اللغة، ص٢٠١.

التّحليل المنطقي إلى النّحو بصفة خاصّة، وكان من أشهر النّحويين في المدرسة الإغريقيّة، العالمُ النّحوي الإسكندري واسمه (ديونيسيوس ثراكس Thrax)، الذي عاش في القرن الأوّل قبل الميلاد، وألّفَ هذا النحوي كتابًا عنوانه (τέχνη Γραμματική) أي: الصّناعة النّحويّة[1]. وهذا الكتاب هو الذي أثّر فيما بعد على جميع الكتب النّحوية اليونانيّة واللاتينيّة والسّريانيَّة وغيرها حتى القرنِ التاسعَ عَشَرَ[2]، حيث بدأ العلماء يتطلّعون إلى نظامٍ جديدٍ أصلحَ لوصفِ بناءِ اللّغة. ولذا، فلا نُخطئ إذا قلنا: إنّ كتاب ديونيسيوس ثراكس يماثل –في الغرب– كتاب سيبويه في الشرق، من حيث الأهمية والتأثير.

وبَعد النّحو اليوناني بثمانِمِائةِ عام، نشأ النّحو العربي كمدرسةٍ ثالثةٍ مستقلّةٍ في العالم.

أمّا أصلُ النحو العربي فيُحيط به الغموض الشّديد. نَعَمْ، إنّ كتبَ طبقات النَّحويّين تَذكر كثيرًا من أسماء النَّحويّين الذين عاشوا في القرنين الأول والثاني، إلاّ أنّها لا تُحيطنا علمًا بأفكارهم في النحو، فلا نَعرف سوى أسمائِهم وبعضَ عناوينِ الكتب التي يُقال إنّها مؤلّفاتُهم.

وبالنسبة لبداية النحو العربي، تذكر كتب الطبقات هذه اسمَ أبي الأسود الدّؤلي المعروف بشعره، قائلةً: إنّه أوّل من انصبّ بحثُه على اللغة والنحو، ولكنّ الأخبار

---

(١) نال هذا الكتاب شهرة عريضة جعلته المرجع الأول للنحو اليوناني، واشتمل على آراء النحاة السابقين، وزاد فيه مؤلّفه أقسامَ الكلام حتى بلغت ثمانية، وقام بترجمته إلى السّريانيّة يوسف الأهوازي (ت ٥٨٠م). انظر: البحث اللغوي عند العرب، ص٦٤، ٦٦، وفن النحو بين اليونانيّة والسّريانيّة، ترجمة ماجدة محمد أنور، ص١٨.

(٢) وفي هذه الفترة، أي في أواخر القرن الثامن عشر، أعيد اكتشاف اللغة السنسكريتيّة على أيدي الدارسين الأوروبيين، ويُعدّ السير وليم جونز (ت ١٢١٧هـ/ ١٧٩٤م) أول من اكتشف العلاقة الوثيقة، والتشابه الكبير بين اللغتين السنسكريتيّة واليونانيّة. انظر: البحث اللغوي عند الهنود، ص١٩، وأسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة أحمد مختار عمر، ص٢٣٢.

المتعلّقة بذلك المؤسس المزعوم للنّحو العربي، ليست أكثرَ من أساطيرَ غيرِ ثابتة، حيث لا تتضمّن أيّ تفاصيلَ ولا سلسلةً وثيقةً للرّواية.

ومن الأساطير العديدة المنسوبة إلى أبي الأسود الدؤلي، تلك المُلْحَةُ الجميلةُ التي تَرويها[1] أغلب المصادر، وهي أنّ ابنته قالت يومًا: يا أبتِ، ما أحسنُ السّماء؟ قال: أيْ بُنَيّةُ، نجومُها. قالت: إنّي لم أُرد: أيُّ شيءٍ منها أحسن؟ إنّما تَعجّبتُ من حُسنها. قال: إذًا فقولي: ما أحسنَ السّماءَ! فحينئذٍ وضع كتابًا[2].

هذا ما يَقُصّه علينا النحويون عن بداية أمرهم، وليس في وُسعنا أنْ نستخرج من مثل هذه الأساطيرِ صورةً حقيقيّةً لتطوّر النّحو العربي بين منتصف القرن الأوّل ونهاية القرن الثاني؛ فيقف فجأةً أمامنا الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديُّ وتلميذُه أبو بِشرٍ عمرو المعروفُ بلقبه الفارسي "سيبويه"، وهو العالِم الذي يقول السّيرافي عنه: "إنّه عَمِل كتابه الذي لم يَسبقه إلى مثله أحدٌ قبله"[3]، وبالفعل لا نَعرف كتابًا آخرَ عن النحو العربي ألّفه أحدٌ من العلماء قبله.

إنّ كتاب سيبويه من الإنجازات المُدهشة للغاية؛ فَمَعَ أنّه أوّلُ مؤلَّفٍ في مجاله، إلاّ أنّه يُعطي صورةً متكاملةً دقيقةً لقواعد العربية لم يُنقّحْها المتأخّرون إلاّ في التفاصيل، ويضاف إلى ذلك أنّ سيبويه لا يَعُدّ القواعدَ قاعدةً بعد قاعدةٍ، وإنّما يُفسّرها ويناقش مشاكلَها على ضَوْءِ نظريّةٍ علميّةٍ لغويّةٍ، وما يَزيدنا دَهشةً أنّ هذه النظريّةَ اللغويّةَ مستقلّةٌ عن النّحو اليونانيّ، وكثيرًا ما يَجري الحديثُ في كتاب سيبويه، والمتحدّثون لا يُحيطون به ولا يَعرفون سوى شيءٍ قليلٍ منه.

---

(١) في الأصل: يرويها، والصّواب ما أثبتّه.

(٢) وثق فيشر بعد هذه الفقرة في متن البحث: (أبو سعيد السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص ١٤). ينظر: أخبار النحويين البصريين للسيرافي، ص٣٦.

(٣) السابق، ص٦٤.

هـذا، وكـلّ مَـن يُـنعِم النظـرَ فيـه يلاحـظ –بعـد قريـب– أنّ فهـمَ الكتـاب مـرتبطٌ بصعوباتٍ وعوائقَ كثيرةٍ؛ لقـد حـاول العـالم الألماني جوسـتاف يان (Jahn) قبـل تسـعين عامًا[1]، أنْ يَنقل كتاب سيبويه إلى اللغة الألمانيّة بعد أنْ طُبِع نصّه أوّلاً في فرنسا[2] وثانيًا في بـولاق[3]، ولكنّ هـذه الترجمـةَ الألمانيّـة لا تُسـهّل فهمَـه كثيرًا، ولا يَفهمُهـا سـوى مَـن يَفهم الأصلَ العربي.

وظلّ عـدد الدراسـات فـي الكتـاب قليلاً، حتى انبثـق اهتمامٌ جديدٌ بـه فـي السّـنوات الأخيرة. لقد تجدّدت المناقشة حوله في إطار اهتمام العلماء اللغويين بالمناهج العلميّة المختلفة في مجال النحو؛ كما انطلق هذا الاهتمام بسبب المنهج النّحوي الجديد الذي يَتزعّمُه العالم اللغويّ الأمريكي (نوام جومسكي)، وهو المعروف بالمنهج الإنتاجي التّحويلي؛ إذ إنّ بعض العلماء يَعْتبرون[4] المنهج الذي يَتّبعه سيبويهِ في كتابه شبيهًا بالمنهج التحويلي الحديث[5].

---

(١) أي في سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٤م، وهي السَّنة التي بدأ فيها (يان) نَشْر كتاب سيبويه بشرح السّيرافي، في برلين. انظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، ٢/ ٧٢٤. وهذه الطبعة باللغة الألمانية ترجمت عن طبعة المستشرق الفرنسي ديرنبورغ (ت ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٨م)، وانتهى منها في سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٠م. ويقول الشيخ عبد السلام هارون (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) عن (يان)– ومقالة فيشر في التأثير والتأثّر–: "وممّا يُسجّل لهذا الأستاذ الجليل، اعترافُه بأنَّ النحو العربيّ عاش في شبه عُزْلة عن التأثّر بنحو الشّعوب الأخرى". انظر: كتاب سيبويه، تح عبدالسلام هارون، ١/ ٥٤، ٥٥.

(٢) نشر المستشرق ديرنبورغ كتاب سيبويه: المجلد الأول سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨١م، والمجلد الثاني سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٨٩م. انظر: المستشرقون، العقيقي، ١/ ٢١٣، وكتاب سيبويه، ١/ ٥١.

(٣) سنة ١٣١٨هـ/ ١٨٩٨م واتخذت من طبعة باريس أصلاً لها، وقد وَهِم فيشر في ذلك، لأنّ طبعة بولاق جاءت بعد طبعة المستشرق (يان) بأربع سنوات، ولعلّ فيشر كان يعني الطبعة الثانية للكتاب في مدينة كلكتّا الهنديّة سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٧م. انظر: كتاب سيبويه، تح هارون، ١/ ٥٣، ٥٥.

(٤) كذا، ولعلّ صوابه: يَعدّون.

(٥) هذا خطأ في المقارنة، والصّوابُ القولُ: إنَّ المنهج التحويلي الحديث، يشبه في كثير من مسائله المنهج المتَّبع في كتاب "سيبويه"، فذلك أسلم.

ولـيس قـصدنا هنـا أنْ نلتفـت إلـى هـذه المـسألة المنهجيّـة، بـل نَتّجـهَ بالبحـث إلـى التّساؤلات المتعلّقة بنشأة النحو العربي، وقد تَجدّدت المناقشة حولها أيضًا.

إنّ الأسئلة الأكبر أهميّة والتي يَدور النّقاش حولها في الدراسات الحديثة، هي:

أولاً: هل يَرجع النّحو العربي إلى النّحو اليوناني؟ وإلى أيّ مدىً أثّر النّحو أو المنطق اليونانيّ على الأوائل من النّحاة العرب؟

ثانيًا: مَن هو سيبويهِ من خلال تطوّر النحو العربي؟ أيُمثّل أوّلَ نحويّ ذا منهج علمي فيكون مَن سَبَقه هاويًا فقط؟ أمْ يقف نهايةَ مرحلةٍ إنشائيّة ذاتِ نشاطٍ في البحث النحوي، فيكون هو مؤلّف كتابٍ فقط يجمع بين تعاليمِ ومعارفِ أسلافِه[1] في هذا الميدان؟

أمّا السّؤال الأوّل –وهو السّؤال عن تأثير الإغريق على النّحو العربي– فحُجّةُ العلماء المقتنعين بذلك التأثير، هي أنّ العرب عندما فتحوا مصرَ والشّامَ والعراقَ في صدر الإسلام، أصبحوا يعيشون في وسط أصحاب الحضارة اليونانيّة البيزنطيّة، وبعد فترةٍ قصيرةٍ صاروا يتعاملون مع العلماء الإغريق والسّريان، الذين كانت مراكزهم العلميّة تقع في الإسكندريّة، وأنطاكيا[2]، وحَرّان، وجُنْدَيسابور، وغيرها من مدائن هذه البلاد، فضلاً عن المراكز العلميّة التي وُجدت في بعض الأديرة، وكان من بين العلماء المُدرّسين في تلك المراكز العلميّة اليونانيّة، طائفةٌ متنوّعة من أصحاب العلوم المعروفة آنذاك، كالأطبّاء، والفلاسفة، والمنطقيّين، والرّياضيّين، وعلماءِ اللاّهوت، واللغويين، والنّحاة أيضًا.

ومن المعروف أنّ المسلمين عَرَبًا كانوا أم غير عَرَبٍ[3]، سرعان ما أخَذوا ما يَبدو لهم صالحًا من هذه العلوم واستفادوا منها، فبدؤوا ينقلون الكتب والرسائل المكتوبة

---

(١) كذا، والصواب: تعاليمِ أسلافِه ومعارفِهم.

(٢) لعلّ الصواب أن ترسم بالتاء: أنطاكية.

(٣) في الأصل: غير العرب، وذلك خطأ.

باللغة اليونانيّة أو السّريانيّة أو الفارسيّة إلى العربيّة، ونتيجة لذلك كانت الحضارة الإسلاميّة تَتصرّف في مجموعةٍ واسعةٍ من الكتب العلميّة التي تتناول جميع مواضيع العلوم باللغة العربيّة، إلاّ أنّه لا توجد بين تلك الكتب المنقولة إلى العربيّة رسائلُ في اللغة والنّحو، وذلك ليس من الغريب؛ إذْ إنّ النّحو مربوط دومًا بلغة واحدة معيَّنة، فلا فائدة من ترجمة مثل هذه الرسائل من لغة إلى أخرى، لأجل إقامة علم النحو لِلُغة جديدة.

ولكنْ في ضَوء الظروف المذكورة، لا مَفرّ مِن تَصَوّرٍ – وهكذا يَحتج المقتنِعُ بتأثير العلوم اليونانيّة على نشأة النّحو العربي– أنّ الأوائل من النّحاة العرب، كانوا في حوار مع العلماء اللغويين الإغريقِ أو السّريانِ العائشين[1] بجوارهم، يتبادلون أفكارهم في مبادئ اللغة وأُسُس النحو.

وبناءً على هذا التأمّل، أخذ بعضُ العلماء يبحثون عن العلاقات بين النّحو اليونانيّ والنّحو العربيّ، وكان أوّلَ مَن زَعم أنّ النّحاة العربَ اقتبسوا في بداية أمرهم بعضَ المفاهيم والمصطلحات من الإغريق، هو العالم الألماني ميركس (Merx)، الذي نَشَر في منتهى القرنِ التاسعَ عَشَرَ كتابًا عنوانُه: "تاريخُ صِناعةِ النّحو عند السّريان"[2]، ولَحِق برأيه كثيرٌ من العلماء الأوروبيّين والعربِ أيضًا، إلاّ أنّ بحثَه في هذا المجال لم يكن عميقًا، وقد تَوقّف البحث في هذا الأمر بعد ميركس لمدة طويلة.

---

(١) على طريقة الإمام نافع في قلب الياء همزة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠]، إذْ قرأ: معائش، بالهمز. انظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص٢٧٨. وكان يمكنه للتخلّص من حرج الغلط والتخطئة أن يقول: الذين عاشوا بجوارهم.

(٢) وذلك سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٨٩م، إذْ زعم أنَّ النحو العربيَّ مؤسَّس على طريقة اليونان في المنطق. انظر: المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية، إسماعيل عمايرة، ص٣٨.

لذلك، فإنّه من الصّحيح ما أثبتَ الدكتور جيرار تروبو في مقالة عنوانها "نشأة النّحو العربي في ضوء كتاب سيبويه"، نشرها سنة ١٩٧٨ في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني[١] قائلاً: "ثمّ نرى معظم المستشرقين قد اتّخذوا هذا الرّأي بدون تَحَفّظ"[٢].

ويُحِيل جيرار تروبو على كتابٍ للمستشرق الفرنسي هانري فلايش (H. Fleisch)، نقرأ فيه الزّعم التالي دون أنْ يعطينا المؤلّف أيّ تعليل له: "إنّه من الواجب أنْ نُشير إلى تأثيرٍ يونانيٍّ في النّحو العربي، فقد اقتبس الفكرُ النّحوي العربيُّ مفاهيمَ أصليّة من العلم اليوناني، لا من النّحو اليوناني، ولكنْ مِن منطق أرسطو"[٣].

لقد عاد النّقاش في هذا الموضوع مِن جديدٍ مع بَحْثٍ مهمّ قام به العالم الهولندي فيرستيغ قبل خمس سنين، وعنوان بحثه: "العناصر اليونانيَّة في الفكر اللغويّ العربيّ"[٤]، وهو عارفٌ نافذُ الحكم على النّحو اليوناني والنّحو العربي في نفس الوقت[٥]، وذلك يَمنح بحثَه وزنًا في نزاع الاحتجاج، ويقارن هذا الباحث المفاهيمَ والمصطلحاتِ المستخدمةَ لدى النّحاة العربِ بالمصطلحات النّحويَّة اليونانيَّة، ويجد عند ذلك عدة نقاط متشابهة بينهما.

يقيم هذا البحثُ العميقُ المناقشة العلميّة على مستوى جديدٍ أعلى، رغم نقد الآخرين الذين منهم جيرار تروبو، وهو يرفض تأثير الإغريق على النّحو العربي كلّ رفضٍ،

---

(١) في الأصل: الأردنيّة، وليس بشيء، لأنَّ الموصوف هو (المجمع) لا (المجلة).

(٢) مجلّة مجمع اللغة العربيّة الأردني، ع١، ص١٢٥.

(٣) نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، ص١٢٥، ولم يتيسّر لي الاطّلاع على كتاب فليش "في علم اللغة" الذي أشار إليه تروبو.

(٤) قوله: وعنوان بحثه، إلى هنا: مكتوب على هامش الصفحة السادسة من أعلى، وقَدَّرتُ أن تكون في هذا الموضع. والكتاب أصله رسالة تقدم بها المؤلف لنيل درجة العالميّة (الدكتوراه)، انظر: رباح مفتاح، "النحو العربي بين التأثر والتأثير"، مجلة جامعة الأزهر بغزّة (سلسلة العلوم الإنسانيّة)، مج١١، ع٢، ص١٥٢، وكيس فرستيغ، عناصر يونانيّة في الفكر اللغوي العربي، ترجمة محمود كناكري، ص١٤.

(٥) الصواب أن يقول: في الوقت نفسه، بتأخير المؤَكِّد، وتقديمُه من الأخطاء الشائعة.

قائلاً في ختام مقالته المذكورة: "فأنا أعتقد أنّ علم النّحو أعربُ العلوم الإسلامية وأبعدُها عن التأثير الأجنبي في طَوْره الأوّل"[١].

إنني سأحاول فيما يلي الإخبار بالمفاهيم النّحوية المتشابهة لدى العرب والإغريق باعتبار الجانبين المتنابذين:

أولاً: يُثبت العالم الهولندي أنّ الأسئلة التي كثيرًا ما يَستخدمها النّحاة العرب كأمثلة للاسم والفعل، هي الكلمات التالية: "الرَّجُل والفَرَس" كمَثَلَين للاسم، و"ضَرَبَ" كمَثَل للفعل[٢]، وأنّه ليس من البديهي أنّ النّحاة اليونان كانوا يستخدمون أمثلةً للاسم والفعل تُطابق الكلماتِ العربيّةَ تمامًا بخصوص الدلالة، وهي (ἄνθρωπος) المقابلة للرَّجُل أو للإنسان، و(ἵππος) المقابلة للفرس، و(τυπτω) المقابلة [لِـ][٣] "ضَرَبَ".

ثانيًا: والنّقطة الثانية من ملاحظاته، هو التّشابه بين المصطلح (المتعدّي)، الذي يعني "الفعل المستهدِف إلى مفعولٍ به دلالة"، والمصطلحُ المقابلُ له باليونانيَّة وهو (μεταβατικός)، يدلّ على نفس المعنى[٤]، فيتطابق المصطلحان العربيّ واليونانيّ بالتّمام[٥].

ثالثًا: إنّ مصدر الفعل هو التعبير عن الحَدَث المحض دون الوقت، وكان الكوفيّون يَستخدمون لذلك مصطلحًا آخر وهو "اسم الفعل"، ويبدو هذا المصطلح مترجمًا من اليونانيّة، كان لفظه (ὄνομα ῥήμα)؛ أي "اسم الفعل" أو "اسم العمل"[٦].

---

(١) نشأة النحو العربي في كتاب سيبويه، ص١٣٨.

(٢) انظر: كيس فرستيغ، عناصر يونانيّة، ص٩٣، ٩٧.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) أشرت قبلاً إلى خطإ تقديم المؤكِّد على المؤكَّد.

(٥) انظر: كيس فرستيغ، عناصر يونانيّة، ص١٥٤، ١٥٥.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص١٥٦، ١٥٧.

رابعًا: ينقسم علم اللغة العربيّة إلى قسمين هما: النّحو والصّرف، أمّا الصّرف، فيُعنى به التغييرُ الشّكليّ للكلمات مثل جَمْع التّكسير أو صِيَغ المصادر، وهكذا. ولا يُفْهم معنى هذا المصطلح باعتبار معنى الكلمة المألوفِ، ولكنّنا نجد كلمةً بِعَين المَدْلول في النّحو اليوناني لفظها (κλίσις)، ومعناها: "الصرف" أو "الإمالة"، وتَدلّ هذه الكلمة –كمصطلح نحويّ[1]– على التغيير الشّكلي للكلمة اليونانيَّة أيضًا[2].

خامساً: يوجد في باب الصّرف المصطلحان: (العِلّة) و(الصّحّة)، أمّا الصّحّة، فتدلّ على الشّكل النظامي للكلمة الصحيحة، أي التي لا تتضمّن حروفُها الأصليّة أَحَدَ حروف اللين. وعلى العكس من ذلك، تَدلّ العِلّة على الشّكل غيرِ النّظامي؛ حيث يوجد حرفُ لينٍ بدلاً من أحد الحروف الأصلية، فتُمثّل كلمةُ (مَكْتَب) شكلاً نظاميًا على وزن (مَفْعَل)، وشَكلُه صحيحٌ. أمّا (مكان)، ففيها عِلّةٌ مع أنّ وزنَها أيضًا (مَفْعَل)[3]، إلاّ أنّ الألف فيها تقوم مَقام الواو الأصليّة، ويطابق هذان المصطلحان (الصّحّة والعِلّة) الكلماتِ اليونانيّةَ: (εγιής)، أي: صحيح أو سالم، و(ασθενης)، أي: معتلّ أو مريض[4]، وكان معناهما في النّحو اليوناني شبيهًا بمصطلحَيِ النّحو العربي.

فالكلماتُ والمصطلحاتُ النّحوية التي يَعْتبرها[5] العالم الهولندي "فيرستيغ" مشابهةً للمصطلحات اليونانيّة تمام التّشابه هي: "الرَّجُل والفَرَس وضَرَب[6]" بصفتها

---

(١) لعل الأحكم أن يقول: "وتَدلّ هذه الكلمة –مصطلحًا نحويًا– على التغيير الشّكلي"، أي في حال كونها مصطلحًا نحويًا، بعيدًا عن إقحام الكاف التي بمعنى (as) في غير موضعها.

(٢) انظر: كيس فرستيغ، عناصر يونانيّة، ص١٣١–١٣٢.

(٣) على الأصل المفترض: مَكْوَن، وذلك لا يرتضيه الدَّرس اللغوي الحديث، الذي ينظر في الوزن إلى مآل الكلمة لا أصلها.

(٤) انظر: كيس فرستيغ، عناصر يونانيّة، ص٧٣– ٧٥.

(٥) كذا، والصّواب: يَعدُّها.

(٦) في الأصل: والضّرب، وهو خطأ.

أمثلة للاسم والفعل، ثم (الفعل المتعدي، واسم الفعل (المصدر)، والصّرف، والصّحّة والعِلّة)، –هي الأدلّة[1] التي يُوردها على صحّة الحوار الذي نَتَصوّره قد جَرَى بين أوائل النّحاة العرب وزملائهم اليونان والسّريان، وإنْ لم تَرْوِ الأخبارُ شيئًا من الاجتماعات بينهم.

وإلى جانب المصطلحات المذكورة، يَسْرد صاحبُ ذلك البحثِ مصطلحاتٍ نحويّةً أخرى مطابقةً لكلماتٍ مستخدمةٍ لدى النّحاة اليونان، إلاّ أنّها لا تَخْلو من كلّ شَكّ، فيشير إلى الكلمة اليونانية (Analogia) التي تقابل (القياسَ) بالعربيّة[2]. ومع أنّ القياس من المصطلحات النّحوية الأساسيّة دون شكّ، إلاّ أنّه يَجب علينا أنْ نُقِرّ بكونه مصطلحًا علميًّا شائعَ الاستعمال. ولذا، كان ليس لنا أنْ نردّه إلى الاتّصالاتِ المفترضَةِ بين النّحاة العرب واليونان.

ونَذكر بخصوص كلمة القياس هذه رأيَ العلماء الآخرين الذين يَظنّون أنّ النّحاة استعاروا هذا المصطلح –أعني القياس– من الفقهاء، وذلك لأنّ أكثر النّحاة كانوا على إلمام بالفقه أيضًا.

نعود ثانية إلى عَرْض آراء فيرستيغ، فهو يرى أنّ مصطلحاتِ أقسام الكلام –وهي الاسم والفعل والحرف– قد دخلت العربيّة بصفتها مصطلحاتٍ نحويّةً عن طريق الترجمة من اليونانية[3]؛ فتقابل "الاسمَ" الكلمةُ اليونانيّةُ (ὄνομά) التي معناها: إمّا اسم عَلَم، وإمّا اسمٌ، باعتبارها[4] قسمًا من أقسام الكلام، فالكلمتان اليونانيّة والعربيّة تتشابهان تمامًا.

---

(١) أي: الكلماتُ والمصطلحاتُ النّحوية هي الأدلّة.

(٢) انظر: كيس فرستيغ، عناصر يونانيّة، ص١٧٦، ١٧٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٩١ وما بعدها.

(٤) لعلّ الصّواب أن يقول: كونُها.

وتقابل "الفعلَ" اللفظةُ اليونانيّةُ (ρήμα)، ومعناها: (الكلمة)، في حينَ أنّ معنى الفِعل في العربيّة، هو (العَمَل).

وتقابل "الحرفَ" اللفظةُ اليونانية (εργαλείο)، التي تدلّ على الحرف بوصفه رمزًا كتابيًّا لا بوصفه مصطلحًا لِمَا كان الكوفيّون يُسمّونه (الأداة)؛ فنرى أنّ التشابه المزعوم بين هذه المصطلحات العربيّة واليونانيّة ينحصر في "الاسم" فقط، ولا يَمتدّ إلى المصطلحين الآخرين "الفعل والحرف".

ويُضاف إلى ذلك أمرٌ أَوْضَحَه الدكتور تروبو في مقالته المذكورة، وذلك أنّ النّظام النّحوي الذي يَتَضمّن تلك المصطلحاتِ اليونانيّة مختلِفٌ اختلافًا تامًّا عن أقسام الكلام في النّحو العربيّ[1].

يميّز النّحاةُ العربُ في اللغة ثلاثةَ[2] أقسامٍ للكلام، في حين أنّ اليونان يقسّمون الكلامَ إلى ثمانية أقسام أو أنواع أساسيّة، وهي:

- "الحَرْفُ"، أي الرّمز الكتابي أو الصّوت.
- و"المقطعُ".
- و"الأداةُ"، وهذه هي الحروف عند النّحاة العرب.
- و"أداةُ التّعريف".
- و"الاسمُ".
- و"الفعلُ".
- و"حالةُ الاسم"، وهذه شبيهة بإعراب الاسم.
- و"الكلامُ".

---

(١) انظر: نشأة النحو في كتاب سيبويه، ص١٣٠.

(٢) في الأصل: ثلاث، وهو خطأ.

ويَتّضح من ذلك، أنّه لا علاقة بين النّظام النّحوي العربي والنّظام النّحوي اليوناني بالنّسبة لأقسام الكلام، وإنْ وَجَبَ أنْ نَعترف بالمماثلة غيرِ العاديّة في مدلول "الاسم"، الذي في العربية واليونانيّة يَجْمَع[1] بين أقسام الاسم جميعًا، كاسم العَلَم والصّفة والمصدر، وهكذا، وبما أنّنا نجد ذلك في النّحو العربي كما نجده في النّحو اليوناني، فيمكن أنْ نَعْتبر[2] مصطلح "الاسم" واحدًا من المصطلحات الدّخيلة عن طريق الحوار بين النّحاة العرب واليونان في أوائل نشأة النّحو العربي.

ومِمّا يأتي به أتباعُ التأثير اليوناني على النّحو العربي، أنّ "الإعراب" و"الحركة" وغيرَها– بوصفها مصطلحاتٍ نحويّةً– انعكاسٌ لمصطلحاتٍ يونانيّةٍ، ولكنّ الدكتور تروبو أبرزَ بكلّ وضوحٍ الشّكوكَ اللازمةَ المتعلّقةَ، باعتبار[3] تلك المصطلحاتِ اليونانيَّةِ نماذجَ للنّحو العربي، ولذلك فإنّنا نَضرب صفحًا عن التّطرّق إلى تفاصيلِ الموضوع، وهكذا نكون قد أتينا بجميع النقاط المستحقة بالمناقشة في هذا المجال.

وعندما نُمِرّ النظر الآن على نتائج المناقشة حول التأثير اليوناني على نشأة النّحو العربي، نجدها تتلخّص في أنّ العلماء قد اكتشفوا بضعة مصطلحاتٍ نحويّةٍ فقط، يمكن إرجاعها إلى نماذجَ يونانيّةٍ، وهذا ما يجعلنا نسلّم بأنّ الحوار المحتمَل بين النّحاة العرب واليونان قد وقع فعلاً في بداية الأمر، إلاّ أنّ هذا لا يتعارض مع تأكيدنا على[4] ما قال العالم الفرنسي تروبو في نتائج تلك المناقشة: "أظنّ أنّ المستشرقين قد أخطؤوا عندما اعتمدوا على بضعةٍ من المصطلحات اليونانية ليبرهنوا على مُضارعةِ النظامِ العربي

(١) عبارة فيها ركاكة، ولعلّ الأفصح أن يقدَّم الفعل، فيقول: الذي يجمعُ في العربيَّة واليونانيَّة بين أقسام الاسم جميعًا.

(٢) كذا، وصوابها: نَعُدّ.

(٣) كذا، على طريقته في استخدام الفعل (اعتبر) ومشتقاته.

(٤) الصواب: تأكيدنا، بحذف حرف الجر.

النظامَ اليونانيَّ، لأنّ كلّ واحدٍ من المصطلحات جزءٌ مِن نظام معقّد، ليس له معنى خارجٌ عن هذا النظام"[1].

لقد رأينا أنّ البحوث في نشأة النّحو العربي حتى الآن لم تُحقّق نجاحًا كبيرًا، ولم تدرك الكثير من المعلومات الصّالحة لتوضيح ما حدث فيما بين بدايات النّقاش النّحوي في عهد أبي الأسود، وظهورهِ في صورةٍ متكاملة في كتاب سيبويه؛ على أنّه من الغريب في هذا الصّدد أنّ العلماء الباحثين في نشأة النّحو العربي، لم يَطّلعوا على نَصّ عربي يُحيطنا علمًا بتطوّر النّحو العربي في الفترة التي سبقت سيبويه؛ مع أنّ هذا النصّ سَهْلُ المنال منذ تسعين عامًا[2]، وهو كتاب "مفاتيح العلوم" لأبي عبدالله محمّد بنِ أحمدَ الكاتبِ الخُوارزميّ[3]، حيث نجد بابًا عن النّحو.

لقد أهدى أبو عبدالله الخوارزميّ كتابَه لأبي الحسين عُبيدالله العتبي[4] وزيرِ الأميرِ السّاماني نوحِ بنِ المنصور[5]، الذي تولّى الحكمَ سنة (٣٦٥)، وبذا كان لنا أنْ نقدّر تاريخ وَضْع هذا الكتاب سنة (٣٨٠) تقريبًا.

ويتناول أبو عبدالله الخوارزميّ فيه جميع العلوم المعروفة حينئذٍ، ويذكر لكلٍّ منها المصطلحاتِ الأساسيّةَ اللاّزمةَ للدّخول في دراستها؛ وبين هذه العلوم النّحوُ العربيُّ الذي يُعالجُه في الباب الثالث من كتابه؛ وممّا يثير الدّهشةَ أنّ المؤلّف لا يَذكر فيه اسم سيبويه،

---

(١) انظر: نشأة النحو في كتاب سيبويه، ص١٣٦–١٣٧.

(٢) نشر المستشرق الهولندي فان فلوتن كتاب "مفاتيح العلوم" للخوارزمي في ليدن سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٥م. انظر: المستشرقون، العقيقي، ٢/ ٦٦٣.

(٣) الكاتب التركي المتوفَّى سنة (٣٨٧هـ). انظر: كشف الظنون، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢/ ١٧٥٦.

(٤) نسبة إلى عتبة بن غزوان، انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي، ٤/ ١٩١.

(٥) السامانيون: أسرة فارسيّة تنتمي إلى نصر بن أحمد السامانى، الذي ولاه الخليفة المعتمد على ما وراء النهر، وحكموا ما بين سنتي (٢٦١– ٣٨٩هـ)، والأمير نوح ولي الإمارة بعد وفاة والده سنة ٣٦٥هـ وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٣٨٧هـ. انظر: الحياة العلميَّة زمن السامانيين، إحسان الثامري، ص١٠، ١٤.

رغم أنّ بينه وبين سيبويه مائتي عام، ونحن نعلم أنّ النحاة في ذلك الزّمن مثل أبي العباس المبرّد، وأبي بكر بن السّرّاج، وأبي إسحق الزّجاج، وأبي القاسم الزّجّاجي، كانوا جميعًا يقرؤون كتاب سيبويه، ويَعْتبرونه[1] المصدر الأساسيَّ الرئيسَ[2] للنّحو.

ويعالج صاحب "مفاتيح العلوم" في الفصول الثلاثة الأولى من باب النحو، المذاهبَ المختلفةَ الموجودة في هذا الميدان، فيميّز بين ثلاثة مذاهب قائلاً[3]:

الفصل الأول: في مبادئ النّحو ووجوه الإعراب، على مذهب النّحويين عامّة.

الفصل الثاني: في وجوه الإعراب وما يتبعها، على ما يُحْكى عن الخليل بن أحمد.

الفصل الثالث: في وجوه الإعراب، على مذهبِ فلاسفةِ يونانَ.

وتجتذب هذه الفصولُ الثلاثة انتباهَنَا من وجوهٍ عدّة، وقبل نقاشِ بعضِ التفاصيلِ نُلقي نظرةً على النّقاط التالية التي توضّح تاريخَ النّحوِ العربيّ بصفة عامة:

النقطة الأولى: أنّ أبا عبدالله الخوارزميّ لا يَذْكر– كما قلنا– اسم سيبويه، مع أنّ كتابه كان منتشرًا لدى علماء زمانه.

والنقطة الثانية: أنّه يذكر في الفصل الأوّل الذي يتكلم فيه عن مبادئ النّحو على مذهب عامة النّحويين، المَذْهَبَيْنِ المعروفَيْنِ: مذهبَ الكوفيّين، ومذهبَ البصريين؛ فيفسّر بذلك ما يقصد بعامّة النّحويين، كما يؤكّد أنّ النّحويين المتحدَّث عنهم في الفصلين الثاني والثالث، ليسوا من هذين المذهبين المعروفين.

والنقطة الثالثة: أنّ أكثر المصطلحاتِ النحويّةِ المذكورةِ في الفصل الأوّل، يَتّفق مع ما هو معلومٌ من الكتبِ النحويّةِ المؤلفةِ في القرنَيْنِ الثالثِ والرّابع، وهي كلُّها خاضعة

---

(١) على طريقته في استخدام الفعل (اعتبر) ومشتقاته، في مواضع غير صحيحة.

(٢) ألحق ياء الوصفيَّة لواحد دون الآخر، فإمّا أن يقول: الأساسَ الرئيسَ، وإمّا: الأساسيَّ الرّئيسيَّ، والثاني ليس خطأً كما قد يتوهّم.

(٣) انظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي، تح الأبياري، ص٦٣، ٦٥، ٦٧.

لكتاب سيبويه، ولذا حُقَّ لصاحب "المفاتيح" أنْ يُسمّي ذلك المذهبَ النّحويَّ بمذهبِ عامّة النّحويين.

ويبقى السؤال: لماذا يَسكت عن سيبويه ويَذكر المذاهبَ غيرَ الواردة لدى النّحويينَ المُقْتَفِينَ أثر سيبويه، فيكون كتاب "مفاتيح العلوم" المصدرَ الوحيدَ للتعرّف عليها؟ هل يُلْمح بذلك إلى نزاعٍ قد جرى بين أشياع سيبويه وغيرهم؟

وقد يشير بسكوته إلى أنّه ليس من أتباع سيبويه الذين أصبح لهم المذهب السائد في النحو، وقد أخذ النسيانُ يَطْوي مَن تَبِع غيره من المذاهب النحويّة، وتدلّ على ذلك بعض التفاصيل الواردة في الفصول اللاحقة من هذا الكتاب، ولكنّ الأمر يحتاج إلى بحثٍ أكثر.

والنقطة الرابعة: أنّ أبا عبدالله الخوارزمي لا يَعدّ الخليلَ بنَ أحمدَ من أصحاب ذلك المذهب المشتمِل عامَّةَ النحويين، بل يُفرد له فصلاً خاصًّا، هذا وقد كان سيبويهِ تلميذَه في مجال النّحو، ويَتَّبِع –على أرجح آراء العلماء– تعاليمَ الخليلِ في الغالب، ويَدلّ ما يَرِد في هذا الفصل من المصطلحات النحويّة المنسوبة إلى الخليل، على فَرْقٍ عميقٍ بينه وبين سيبويه بالنسبة للنّظام النحوي، وسنعود إلى هذا الموضوع فيما بعد.

والنقطة الخامسة: أنّه كان هناك مذهبٌ نحويّ خاصّ يسمّيه صاحبُ "المفاتيح" بـ "مذهبِ فلاسفةِ يونانَ"، وهذا ليس دليلاً على الحوار بين النّحاة العرب واليونان فقط، وإنّما على وجود مذهب نحوي عربي تَعلّق بالفلسفة اليونانية مباشرة، وسُمّي لذلك "مذهبَ فلاسفةِ يونانَ"؛ ويؤيّد هذا الرأيَ ما قال أبو عبدالله الخوارزمي في بداية الفصل الأوّل حيث يُحدّد موضوعَ الباب قائلاً: "هذه الصّناعة تسمّى باليونانيّة "غرماطيقي"، وبالعربيّة النّحو"[1]. ويَتّضح من هذا القول أنّ العلماء القدامى أو بعضًا منهم على الأقل، كانوا يُلمّون بوجود

(١) انظر: السابق، ٦٣.

النّحو اليوناني، ويَعْرفون الكلمةَ اليونانيّةَ المقابلة للنحو، بل إنّ بعضهم كان يَتبع مذهب اليونان.

[و][1] النقطة السادسة: أنّ المعلومات التي يحيطنا بها صاحب "مفاتيح العلوم" في هذين الفصلين من باب النّحو لا نجدها في أيّ كتابٍ آخرَ، فلا بُدّ أنّها تُلمِح إلى فترة تاريخيّة قد انتهت مع ظهور كتاب سيبويه، وتلك هي الفترة الغامضة التي فيها تَطَوَّرَ النّحو العربي من بداية أمره إلى تكامله، ومع أنّ المعلوماتِ الموجودةَ في كتاب "مفاتيح العلوم" بالنسبة لتطوّر النّحو العربي في تلك الفترة قليلةٌ جداً، إلاّ أنّها كافية للمعرفة بتنوّع تَطوّر النّحو فيها.

ونريد أنْ نلقي –لإتمام هذا البحث القصير– نظرةً على بعض التفاصيل التي يقدّمها كتاب "مفاتيح العلوم".

لسوء الحظ يَقتصر فيما يتعلّق بمذهب فلاسفة اليونان على الصوتيّات فيقول: "الرّفعُ عند أصحاب المنطق من اليونانيين واوٌ ناقصة، وكذلك الضمّ وأخواته المذكورة"[2]، ويَعني بذلك أنّ هؤلاء العلماءَ يَستخدمون مصطلحاتٍ مختلفةً للتعبير عن حركة الضّمة، مثل: الرفع والضمّ وغيره، فيقول لذلك: (الضم وأخواته)؛ ويَعْتبرون[3] هذه الحركاتِ واوًا ناقصةً.

ثم يَستطرد قائلاً: "والكسر وأخواته عندهم ياءٌ ناقصة، والفتح وأخواته عندهم ألفٌ ناقصة"[4]، وهذا يعني أنّ هؤلاء العلماءَ يُميّزون في مجال الحركات بين الأصوات الممدودة والأصوات القصيرة، وذلك ما يوضحه أبو عبدالله الخوارزمي أيضًا حيث يُضيف إلى

---

(١) زيادة يقتضيها السّياق.

(٢) انظر: مفاتيح العلوم، ٦٧.

(٣) تَمّت الإشارة إلى استخدام هذا الفعل في مواضع سابقة.

(٤) انظر: مفاتيح العلوم، ٦٧.

الكلمات المذكورة: "وإنْ شئت قلت: الواوُ الممدودة اللّينة ضمّةٌ مُشْبعة، والياءُ الممدودة اللّينة كسرةٌ مُشْبعة، والألفُ الممدودة اللّينة فتحةٌ مُشْبعة"[1].

وينطبق ما يُعْلِمُنا به هذا النّصُّ تمامًا على النظام الصّوتي للنّحو اليوناني، حيث يُفرِّق– في مجال الحركات– بين الصّوت الممدود والصّوت الناقص أو القصير، ويقابل كلاًّ من هذه الأصوات رمزٌ خاصّ من الرّموز الأبجديّة اليونانيّة.

وعلينا أنْ نُضيفَ هنا كلمةً في تَسمية هؤلاء العلماء، الذين يشكّلون مذهبًا في ميدان النّحو العربي بـ "أصحاب المنطق من اليونانيين"، ومن الواضح أنّ النصّ المذكور يَختصّ باللغة العربيّة لا باللغة[2] اليونانيّة؛ لأنّ تلك المصطلحاتِ (الرفعَ والضمَّ والكسرَ والفتحَ)، لا معنى لها في النّحو اليوناني. ومن ناحية أخرى، فإنّ الصوتيّات ليست من مواضيع المنطق، إلاّ أنّ اليونان كانوا لا يُميّزون المنطق عن النحو، حيث إنّ[3] كليهما يرجعان إلى أرسطو، وهو صاحب المنطق والنّحو في نفس الوقت[4]؛ فتتّفق عبارة "أصحاب المنطق" مع التقليد العلميّ لليونان.

ولذا، فإنّ صاحب "المفاتيح" على صواب، عندما يسمّي أولئك النحاةَ العربَ– الذين قاموا على أساسِ التقليد اليوناني– بـ "أصحاب المنطق من اليونانيين".

أما المصطلحات المنسوبة إلى الخليل فهي أوفر بقليل، ويَحتوي الفصل الثاني المخصّص لوجوه الإعراب وما يتبعها –على ما يُحكى عن الخليلِ بنِ أحمدَ –على واحدٍ

---

(١) انظر: السابق، ٦٧.

(٢) كذا بإعادة الجار، ولعلّ الصّواب بحذفه.

(٣) في الأصل: أنَّ، والأفصح بالكسر.

(٤) كذا، والصواب بتأخير المؤكّد المعنويّ.

وعشرين مصطلحًا[1]، ويظهر بوضوح– لأوّل وهلة– الفرقُ البعيد بين هذه المصطلحات المنسوبة إلى الخليل والمصطلحاتِ المستخدمة في كتاب سيبويه، والفرق بين هذينِ النّحويَّيْنِ لا يتناول لفظ المصطلحات فقط، وإنّما النظامَ الذي يقوم عليه معناها أيضًا، فنرى الخليل يطبّق عبارة "الرفع" على إعراب الاسم المنوّن مثل (زَيْدٌ)، بينما يُطلِق على إعراب الاسم غير المنوّن عبارة "النجر"[2]، ويتّخذ الضمَّ مصطلحًا للفعل المضارع المرفوع.

أما سيبويه، فيطلق الرّفع على كلٍّ من هذه الحالات الثلاثة، وعلى هذا النحو يحصر الخليل "الخفض" في جرّ الاسم المنوّن مثل (زيدٍ)، ويستخدم مصطلحًا آخر وهو "الكسر"، مشيرًا إلى جرّ الاسم غير المنوّن مثل (الرّجلِ)، ثم مصطلحًا آخر لتحديد الفعل المجزوم عندما يلتقي بألف الوصل، حيث يصبح مكسوراً نحو "لم يذهبِ الرّجل"، ويطلق الخليل على ذلك مصطلح "الجرّ".

فنرى من هذه الأمثلة القليلة أنّ الخليل كان يستخدم مصطلحاتٍ نحويّةً تجمع بين شكل الكلمة ووظيفتها، ونعني بذلك أنّه يستخدم مصطلحًا خاصًّا لرفع الاسم، ومصطلحًا آخر لرفع الفعل، وإنّه بادٍ للنظر أنّ لرفع الاسم وظيفةً مختلفةً عن وظيفةِ رفع الفعل المضارع، وإلى جانب ذلك يميّز الخليل إعرابَ الاسم المعرّف عن إعراب الاسم المنكّر.

وهذا الفرقُ الذي أثبتناه بين الخليل وسيبويه على أساس نصّ كتاب "مفاتيح العلوم"، نقطةٌ مهمّةٌ للغاية بالنسبة لتاريخ تَطوُّر النّحو العربي؛ إذْ إنّ[3] الرّبط بين شكلِ

---

(١) هي: الرفع، والضم، والتوجيه، والحشو، والنجر، والإشمام، والنصب، والفتح، والقعر، والتفخيم، والإرسال، والتيسير، والخفض، والكسر، والإضجاع، والجر، والجزم، والتسكين، والتوقيف، والإمالة، والتفخيم. انظر: مفاتيح العلوم، ص ٦٥–٦٦.

(٢) كذا في "مفاتيح العلوم" طبعة فلوتن، ص٤٤، وفي طبعة الأبياري: البخر، ص ٦٥–٦٦.

(٣) في الأصل: أنَّ.

الكلمة ووظيفتِها من خصائص النظام النحوي اليوناني أيضًا، نجده في نظام المصطلحات لدى الخليل، ولا نجده في كتاب سيبويه على حد سواء؛ فيتضح من ذلك أنّ موقف الخليل في تطوّر النحو، قريبٌ إلى حدٍّ ما من النّحو اليوناني، في حين أنّ موقف سيبويه بعيد عنه؛ وأنّ قول العالم الفرنسي جيرار تروبو، بأنّ علم النحو أعربُ العلوم الإسلامية وأبعدُها عن التأثير الأجنبي[1]، يَسري مفعولُه على سيبويه وليس على الفترة قبله على حدٍّ سواء.

وبالنّظر إلى النصّ المذكور في كتاب "مفاتيح العلوم"، لا يمكن الشّكّ في أنّ النّحو العربي كان في بداية أمره على الاتصال بالفكر اليوناني وتحت تأثيره عليه، ثمّ ابتعد في أثناء تَطوُّره عن النماذج اليونانيّة الأصليّة درجةً فدرجةً، حتى قطع سيبويه ذلك الربط بالكليّة، فلم تبقَ بعده من ذلك التأثير اليوناني الأوّل غيرُ المصطلحات القليلة التي اكتشفها العلماء في بحوثهم.

ومن هنا نفهم أهميّةَ كتاب سيبويه وأثرَه الباهرَ في تَطوّر علم النّحو في العصور اللاحقة له؛ إذْ إنّ سيبويه كان النحويَّ الذي أَبْعَدَ ما بقي في النّحو العربي مِن آثار الفكر اليوناني عن هذا العلم، وأقامَ بذلك النّحوَ العربيَّ مرّةً ثانية كطريقةٍ علميّةٍ مستقلّة[2]، وطَوَى النسيانُ كلَّ ما كان العلماء قبله يفكّرون في اللغة.

[انتهت مقالة فيشر]

* * *

(١) انظر: نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، ص١٣٨

(٢) لعل الصواب القول: طريقةً علميّةً مستقلّةً، بإسقاط الكاف.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أبحاث عربيَّة في الكتاب التكريمي للمستشرق فيشر، إعداد وإصدار هاشم الأيوبي، ط١، دار جروس برس، طرابلس لبنان، ١٩٩٤م.

٣. أخبار النحويين البصريين للسيرافي، تحقيق محمّد علي البنا، ط١، دار الاعتصام، ١٩٨٥م.

٤. الاستشراق: المفاهيم الغربيَّة للشّرق، إدوارد سعيد، ترجمة محمّد عناني، ط١، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٥. الاستشراق الألماني: النشوء والتأثير والمصائر، رضوان السيّد، ط١، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧م.

٦. أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة أحمد مختار عمر، ط٨، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٧. أصول اللغة اليونانيّة للعهد الجديد، ستان سكرسلت، دار الكتاب المقدّس بالقاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م.

٨. الأعلام للزركلي، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.

٩. البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضيّة التأثير والتأثر، أحمد مختار عمر، ط٦، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٠. البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، أحمد مختار عمر، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢م.

١١. الحياة العلميَّة زمن السامانيين، إحسان الثامري، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠١م.

١٢. الدراسات الغربية حول تاريخ النحو العربي (١٩٦٩–١٩٩٤م)، كيس فرستيغ، ترجمة بوشعيب برامو، موقع:

(http://www.atida.org/forums/showthread.php?t=١٩٣٨)،

جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات (عتيدة)، استرجع بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٦م.

١٣. دراسات في العربيَّة، مجموعة من المستشرقين المعاصرين، حرَّره فولفديتريش فيشر، ترجمه سعيد بحيري، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٤. "رأي فيشر في تطور أساليب الكتابة العربيَّة"، حوار أجراه ظافر يوسف، مجلَّة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، مج٧٧، ج٣، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٥. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (ضميمة كتاب المتنبّي)، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر، دار المدني بجدّة، ١٩٨٧م.

١٦. السبعة في القراءات لابن مجاهد، تح شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م.

١٧. "العربيَّة في بلاد الألمان"، تقرير عنها في صحيفة "الإناء" اللبنانية اليوميّة، طرابلس، ع٧١٨٤/ ٢٠ حزيران ٢٠١٤م.

١٨. عناصر يونانيّة في الفكر اللغوي العربي، كيس فرستيغ، ترجمة محمود كناكري، ط٢، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ٢٠٠٣م.

١٩. فن النحو بين السريانيّة واليونانيّة، ترجمة ودراسة ماجدة محمد أنور، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠١م.

٢٠. قاموس عربي يوناني، صموئيل كامل عبد السيّد، مكتبة لبنان، ١٩٩٥م.

٢١. قواعد اللغة اليونانيّة للعهد الجديد، أعدَّه رهبان دير القديس أنبا مقار، دار مجلة مرقس بالقاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٢. كتاب سيبويه (ج١)، تح عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٨م.

٢٣. كشف الظنون، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤. "مدارس الاستشراق: المدرسة الألمانية"، أنور زناتي، استرجعت بتاريخ ٥ آذار ٢٠١٦م، من موقع الألوكة: (http://www.alukah.net/sharia/٠/٤٩٢٧٣/).

٢٥. المستشرقون، نجيب العقيقي، ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.

٢٦. المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربيَّة، صلاح الدين المنجد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨م.

٢٧. المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغويّة، إسماعيل عمايرة، ط٢، دار حنين، عمان–الأردن، ١٩٩٢م.

٢٨. مفاتيح العلوم للخوارزمي، تح الأبياري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩م.

٢٩. موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، روبرت روبنز، ترجمة أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة (٢٢٧)، ١٩٩٧م.

٣٠. موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م.

٣١. "النحو العربي بين التأثر والتأثير"، رباح مفتاح، مجلة جامعة الأزهر بغزّة (سلسلة العلوم الإنسانيّة)، مج١١، ع٢، ٢٠٠٩م.

٣٢. "نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه"، جيرار تروبو، مجلّة مجمع اللغة العربيّة الأردني، عمان– الأردن، ع١، ١٩٧٨م.

* * *

22- Sa`eed, I. (2006). *Al-Istishraaq: Al-Mafaheem al-gharbiyyah li al-sharq*. M. Anaani (Trans.). Cairo: Daar Ru'yah.

23- Seebawayh. (1988). *Kitaab Seebawayh* (3rd ed.). A. Haaroon (Ed.). Cairo: Maktabat Al-Khaanji.

24- Shaakir, M. (1987). *Risaalah fi al-Tareeq ila thaqaafatina*. Egypt: MaTba`at Al-Madani & Jeddah: Daar Al-Madani.

25- Skreslet, S. (2005). *USool al-lughah al-yoonaaniyyah li al-ahd al-jadeed* (2nd ed.). Ciro: Daar Al-Kitaab Al-Muqaddas.

26- Troupeau, G. (1978). Nash'at al-naHw Al-Arabi fi DHaw' kitaab Seebawayh. *Majallat Majma` Al-Lughah Al-Arabiyyah in Jorden*, (1).

27- Umar, A. (1972). *Al-BaHth al-lughawi ind al-hunood wa atharuh ala al-lughawiyeen Al-Arab*. Beirut: Daar Al-Thaqaafah.

28- Umar, A. (1988). *Al-BaHth al-lughawi ind Al-Arab ma` diraasah li qaDHiyyat al-ta'theer wa al-ta'ath-thur* (6th ed.). Cairo: Aalam Al-Kutub.

29- Versteegh, K. (2003). *AnaaSir yoonaaniyyah fi al-fikr al-lughawi Al-Arabi* (2nd ed.). M. Kanaakiri (Trans.). Irbid: Aalam Al-Kutub Al-Hadeethah.

30- Versteegh, K. (n.d.). *Al-Dirasaat al-gharbiyyah Hawl tareekh al-naHw Al-Arabi (1969-1994)*. B. Bramoo (Trans.). (n.p.). Retrieved from: http://www.atida.org/forums/showthread.php?t=1938

31- Zinaati, A. (2016). *Madaaris al-istishraaq: Al-Madrasah al-almaaniyyah*. Retrieved from: http://www.alukah.net/sharia/0/49273

* * *

11- Amaayrah, I. (1992). *Al-Mustashriqoon wa nazhariyyatuhum fi nash'at al-dirasaat al-lughawiyyah* (2nd ed.) Amman: Daar Haneen.

12- Badawi, A. (1993). *Mawsoo`at al-mustashriqeen* (3rd ed.). Beirut: Daar Al-Ilm li Al-Malaayeen.

13- *Fann al-naHw bayn al-siryaniyyah wa al-yoonaaniyyah*. (2001). M. Anwar (Trans.). Cairo: National Center for Translation.

14- Fischer, W. (1994). *AbHaath Arabiyyah fi al-kitaab al-takreemi*. H. Al-Ayoobi (Ed.). Lebanon, Tripoli: Daar Juroos.

15- Ibn Mujaahid. (1972). *Al-Sab`ah fi al-qira'aat*. Sh. Dhayf (Ed.). Egypt: Daar Al-Ma`aarif.

16- Khaleefah, H. (n.d.). *Kashf al-zhunoon*. Beirut: Daar IHyaa' Al-Turaath Al-Arabi.

17- Maqaar, A. (2005). *Qawaa`id al-lughah al-yoonaaniyyah li al-ahd al-jadeed*. Cairo: Daar Majallat Mirqis.

18- MiftaaH, R. (2009). Al-NaHw Al-Arabi bayn al-ta'ath-thur wa al-ta'theer. *Al-Az-har University- Silsilat Al-Uloom Al-Insaaniyyah, 11*(2).

19- Pei, M. (1998). *Usus ilm al-lughah* (8th ed.). A. Umar (Trans.). Cairo: Aalam Al-Kutub.

20- Ra'i Fischer fi taTawwur asaaleeb al-kitaabah Al-Arabiyyah. (2002). Zh. Yoosuf (Ed.). *Majallat Majma` Al-Lughah Al-Arabiyyah in Damascus*, 3 *(77).*

21- Robins, R. (1997). Mujaz taareekh ilm al-lughah fi al-gharb. A. AwwaDH (Trans.). *Aalam Al-Ma`rifah*, (277).

List of References:

The Holy Quran.

1- A Group of Contemporary Orientalists. (2005). *Diraasat fi al-arabiyyah.* W. Fischer (Ed.). S. BuHairi (Trans.). Cairo: Maktabat Al-Aadaab.

2- Abd Al-Sayyid, S. (1995). *Qaamoos Arabi yoonaani*. Maktabat Lubnaan.

3- Al-Aqeeqi, N. (1964). *Al-Mustashriqoon* (3rd ed.). Eqypt: Daar Al-Ma`aarif.

4- Al-Arabiyyah fi bilaad al-almaan. (2014). *Al-Inaa' Newspaper*, (7184).

5- Al-Khawaarizmi (1989). *MafaateeH al-uloom* (2nd ed.). Al-Abyaari (Ed.). Beirut: Daar Al-Kitaab Al-Arabi.

6- Al-Munajjid, S. (1978). *Al-Mustashriqoon al-almaan: Traajimuhum wa ma as-hamu bihi fi al-dirasaat al-arabiyyah*. Beirut: Daar Al-Kitaab Al-Jadeed.

7- Al-Sayyid, R. (2007). *Al-Istishraaq al-almaani: Al-Nushoo' wa al-ta'theer wa al-maSaa'ir*. Beirut: Daar Al-Madaar Al-Islaami.

8- Al-Seeraafi. (1985). *Akhbaar al-naHwiyeen al-baSriyeen*. M. Al-Banna (Ed.). Daar Al-I`tiSaam.

9- Al-Thaamiri, I. (2001). *Al-Hayaat al-ilmiyyah zaman al-saamaaniyeen*. Beirut: Daar Al-Talee`ah.

10- Al-Zirikli. (2002). *Al-A`laam* (15th ed.). Beirut: Daar Al-Ilm li Al-Malaayeen.

Views aboutthe Beginningof Arabic Grammar By Wolfdietrich Fischer (German orientalist) Edited,Commented on and introduced by

Dr.Yoosuf Abdullah Al-Jawaarnah
Taibah University - Madinah

Abstract:

This research aims to disseminate thearticle of theGerman orientalist, Wolfdietrich Fischer,entitled *Viewsabout the Beginningof Arabic Grammar*, because of its importance in the context of theinfluence of other languages, such as Greek, in particular, Syriac, etc,on Arabic. Fischer's study of the book *MafaateeH Al-Uloom (Keys to Sciences*)of Abu Abdullah Al-Khawaarizmi,who died in (387 AH), enriches research in thisarea. Fischer considers Al-Khaleel Ibn AHmad as the end of thevulnerable stage of Arabic Grammar,and Seebawayh as the beginning of a pure and free-of-influence Arabic stage.